

حِطَّاتٌ
إِلَى اللَّهِ عَالِمِ

تَأليفُ

د. عبد المحسن محمد الفهد

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

خطوات

إلى النجاح

ح) عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

خطوات إلى السعادة. / عبد المحسن بن محمد القاسم - ط ٥.

- المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

٢٣٤ ص ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٩٩٧٨-٩

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

١٤٤٣/٨٥٣٦

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٨٥٣٦

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٩٩٧٨-٩

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الخامسة

طبعةٌ مزيدةٌ منقحةٌ محققةٌ

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

خطوات

إلى الله تعالى

تأليف

د. عبد المحسن محمد الفهمي

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يمكن الاطلاع وتحميل جميع مؤلفات فضيلة الشيخ على الرّابط:
a-alqasim.com/books/



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ مُقْتَطَفَاتٌ مُخْتَصِرَةٌ فِي مَوْضُوعَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ تُعِينُ الْعَبْدَ عَلَى
الْوُضُوعِ إِلَى شَاطِئِ السَّعَادَةِ، وَقَدْ سَمَّيْتُهُ: «**حُطُوتَاتٌ إِلَى السَّعَادَةِ**»،
مُؤْتَسِيًّا فِي ذَلِكَ بِمَا سَارَ عَلَيْهِ الْأَيُّمَةُ الْأَعْلَامُ فِي مُؤَلَّفَاتِهِمْ؛ كَابْنِ الْقَيِّمِ
فِي كِتَابِيهِ: «الْفَوَائِدُ» و«بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ»، وَاِبْنِ الْجَوْزِيِّ فِي «صَيْدِ
الْخَاطِرِ»، وَاِبْنِ حَزْمٍ فِي «مُدَاوَاةِ الثُّفُوسِ».

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ دُخْرًا لَنَا فِي الْآخِرَةِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

د. عَبْدُ الْحَكِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

إِمَامٌ وَخَطِيبٌ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

فَرَعْتُ مِنْهُ فِي السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ

عَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَثَلَاثَةِ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ

فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

السَّعَادَةُ

حَقِيقَةُ السَّعَادَةِ

السَّعَادَةُ جَنَّةُ الْأَحْلَامِ وَمُنْتَهَى الْأَمَالِ، كُلُّ الْبَشَرِ يَنْشُدُهَا، وَقَلِيلٌ مَنْ يَدْرِكُهَا، وَمَعَ اخْتِلَافِ الْعِبَادِ وَمَعَايِشِهِمْ وَتَبَايُنِ وَسَائِلِهِمْ وَغَايَاتِهِمْ، وَتَنَوُّعِ لُغَاتِهِمْ وَأَجْنَاسِهِمْ، وَمَعَ افْتِرَاقِ مَشَارِبِهِمْ وَطُمُوحَاتِهِمْ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى طَلْبِ السَّعَادَةِ؛ لِتَوْجُّعِهِمْ مِنْ مُكَابَدَةِ الْحَيَاةِ وَالْآمِهَا، وَطَمَعِهِمْ فِي حَيَاةٍ سَعِيدَةٍ هَنِيئَةٍ، لَا أَحْزَانَ فِيهَا وَلَا هُمُومَ.

وَنَوَالِ السَّعَادَةِ مَنَحَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يَهَبُهَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْعَمُ فِي جَنَاهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْرِمُهَا وَيَعِيشُ فِي أَمَانِيهَا، وَالْمُوفِّقُ مَنْ هُدِيَ إِلَيْهَا؛ فَسَلَكَهَا وَخَطَا إِلَيْهَا، وَعَمِلَ لَهَا، وَجَانَبَ مَا يُضَادُّهَا مِمَّا يَجْلِبُ لَهُ الشَّقَاءُ.



أَيْنَ أَجْدُ السَّعَادَةِ؟

ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي الْمَالِ وَالثَّرَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَهَّمَهَا فِي الْمَنْصِبِ وَالجَاهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ طَلَبَهَا فِي تَحْقِيقِ الْأَمَانِيِّ الْمُحَرَّمَةِ، وَالخَلْقُ فِي سَعْيِ حَيْثُ لَنَيْلِهَا، وَفِي جِدِّ وَتَشْمِيرٍ لِتَحْصِيلِهَا؛ فَمِنْ مُدْرِكِ لَهَا وَمِنْ مَحْرُومٍ مِنْهَا، وَمِنْ بَائِسٍ شَقِيٍّ تَوَهَّمَ السَّعَادَةَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهَا، فَأَثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى دِينِهِ، وَهَوَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ، فَجَنَى الْوَهْمَ وَالْهَمَّ، وَكَابَدَ الْمَعِيشَةَ وَقَاسَى الْأَحْزَانَ.

وَالْحَقُّ أَنَّ السَّعَادَةَ لَنْ تُنَالَ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ، وَبِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَبِالْبُعْدِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١): «الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ هُوَ جِمَاعُ السَّعَادَةِ وَأَضْلَاهَا»^(٢)، فَالْحَيَاةُ وَمَا فِيهَا مِنْ مَتَاعٍ لَا سَعَادَةَ فِيهَا بِلَا تَقْوَى. قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
فَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَتْقَى مَزِيدٌ



(١) هو: أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السَّلَام ابن تَيْمِيَّةَ، الْحَرَانِيَّ، ثُمَّ الدَّمَشْقِيَّ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٦١هـ)، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ (٧٢٨هـ). ذِيلُ طَبَقَاتِ الْحُنَابِلَةِ (٤/٤٩١).

(٢) مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ (٢٠/١٩٣). (٣) الْحُطَيْئَةُ، فِي دِيْوَانِهِ (ص ٣٩٣).

طَرِيقُ السَّعَادَةِ

لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَاجْتَنَبَ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا؛ عَاشَ سَعِيداً، وَكَانَ مِنْ رَبِّهِ قَرِيباً، قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

قال ابن كثير رحمته الله^(١): «الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ تَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيْ جِهَةٍ كَانَتْ»^(٢).

وَالسَّعَادَةُ تَرْهُوَ إِذَا حَقَّقَ الْعَبْدُ تَوْحِيدَ رَبِّهِ، وَعَلَّقَ قَلْبَهُ بِخَالِقِهِ، وَفَوَّضَ جَمِيعَ أُمُورِهِ إِلَيْهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمته الله^(٣): «التَّوْحِيدُ يَفْتَحُ لِلْعَبْدِ بَابَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ وَاللَّذَّةِ، وَالْفَرَحِ وَالِابْتِهَاجِ»^(٤).

وَالسَّعَادَةُ يَكْتَمِلُ عِقْدُهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ مَعَ مُلَازِمَةِ طَاعَةِ اللَّهِ؛ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رحمته الله: «وَالسَّعَادَةُ فِي مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ: أَنْ تُعَامِلَهُمْ لِلَّهِ؛ فَتَرْجُوَ اللَّهَ فِيهِمْ وَلَا تَرْجُوَهُمْ فِي اللَّهِ، وَتَخَافُهُ فِيهِمْ وَلَا تَخَافَهُمْ

(١) هو: أبو الفداء إسماعيل بن عُمر بن كثير القُرشيّ البصريّ ثمّ الدَّمشقيّ، ولد سنة (٧٠١هـ)، وتوفي بدمشق سنة (٧٧٤هـ). الرَّدُّ الوافر (ص ٩٢)، ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٦٠١).

(٣) هو: أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الدَّمشقيّ، ابن قَيِّم الجوزيَّة، وُلد سنة (٦٩١هـ)، وتوفي سنة (٧٥١هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٥/١٧٠).

(٤) زاد المعاد (٤/١٨٦).

فِي اللَّهِ، وَتُحْسِنَ إِلَيْهِمْ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ لَا لِمُكَافَأَتِهِمْ، وَتَكْفَى عَنْ ظُلْمِهِمْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ لَا مِنْهُمْ»^(١).

وَمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ ذَاقَ حَلَاوَةَ السَّعَادَةِ، وَعَاشَرَ مَنْشَرَخَ الصَّدْرِ، مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ يَقُولُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَا يَدْخُلُ جَنَّةَ الْآخِرَةِ، وَقَالَ لِي مَرَّةً: مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي؟ أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِي، إِنَّ رُحْتَ فِيَّ مَعِيَ لَا تُفَارِقُنِي»^(٢).



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٥١).

(٢) الوابل الصيب (ص ٤٨).

المَحْرُومُ مِنَ السَّعَادَةِ

السَّقَاءُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى؛ باقتِرافِ المعاصي والسَّيِّئَاتِ، وَلِذَلِكَ الدُّنْيَا الْمُحَرَّمَةُ مَشُوبَةٌ بِالْمَضَارِّ، وَهِيَ سَبَبُ الشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] أَي: فِي شِدَّةٍ وَضِيقٍ^(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «كُلُّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ - مُخْتَصِّصٌ بِالْعَبْدِ - سَبَبُهُ: مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ، أَوِ الْجَهْلُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَسَعَادَةُ الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ: بِاتِّبَاعِ الرَّسَالَةِ»^(٢).

والفِرَارُ مِنَ الشَّقَاءِ إِلَى السَّعَادَةِ يَكُونُ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَيُعْلَقُ بِأَبِ الشُّرُورِ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ»^(٣).

فاطْرُقْ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَأَوْصِدْ أَبْوَابَ المعاصي؛ لتذوقَ طعمِ السَّعَادَةِ؛ فعافيةُ القلبِ فِي تَرْكِ الآثَامِ، وَالذُّنُوبِ عَلَى القلبِ بِمَنْزِلَةِ السُّمُومِ؛ إِنْ لَمْ تُهْلِكْهُ أضعفَتْهُ.

وَمَنْ انْتَقَلَ مِنْ ذُلِّ المعصيةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ أغناه اللهُ بِلا مَالٍ، وَأَنَسَهُ بِلا صَاحِبٍ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَعْرَضَ عَن طَاعَةِ مَوْلَاهُ، واقتَرَفَ ما حَرَّمَ اللهُ.



(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/١٨٠).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩/٩٣). (٣) زاد المعاد (٤/١٨٦).

كَيْفَ أَعْرِفُ أَنِّي سَعِيدٌ؟

مَنْ جَمَعَ ثَلَاثَةً كَانَ سَعِيداً حَقّاً: الشُّكْرَ عَلَى النِّعَمِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْإِبْتِلَاءِ، وَالِاسْتِغْفَارَ مِنَ الذُّنُوبِ.

قال ابن القيم رحمه الله - في بيانِ عِلَامَاتِ سَعَادَةِ الْعَبْدِ - : «إِذَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتَلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أذْنَبَ اسْتَعْفَرَ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ عُنْوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ، وَعِلَامَةٌ فَلَاحِجِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَلَا يَنْفُكُ عَبْدٌ عَنْهَا أَبَداً»^(١).

وإذا أطرقتَ مَلِيّاً تُحَاسِبُ نَفْسَكَ عَلَى تَقْصِيرِهَا، وَتُعْظِمُ زَلَّاتِهَا، وَتَخْشَى مِنْ هَفْوَاتِهَا، وَتَتَغَابَلُ عَمَّا قَدَّمْتَ مِنْ مَحَاسِنَ بَيْنَ يَدَيْهَا طَمَعاً فِي ثَوَابِ خَالِقِهَا؛ فَتلكَ أَمَارَةٌ عَلَى نَفْسٍ تَطْلُبُ حَيَاةً سَعِيدَةً؛ قال ابن القيم رحمه الله : «عِلَامَةُ السَّعَادَةِ: أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُ الْعَبْدِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَسَيِّئَاتُهُ نَضَبَ عَيْنَيْهِ، وَعِلَامَةُ الشَّقَاوَةِ: أَنْ يَجْعَلَ حَسَنَاتِهِ نَضَبَ عَيْنَيْهِ، وَسَيِّئَاتِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ»^(٢).

فالسَّعِيدُ مَنْ اتَّقَى خَالِقَهُ، وَحَسُنَتْ مُعَامَلَتُهُ مَعَ الْخَلْقِ، وَشَكَرَ النِّعَمَ وَاسْتَعْمَلَهَا فِي طَاعَتِهِ، وَتَلَقَّى الْبَلَاءَ بِالصَّبْرِ وَالِاحْتِسَابِ، وَانْشَرَحَ صَدْرُهُ؛ يَقِيناً مِنْهُ بِأَنَّ اللَّهَ يَطَهِّرُهُ بِذَلِكَ، وَيَرْفَعُ دَرَجَاتِهِ، وَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ عَنِ الْخَطَايَا، وَنَدِمَ عَلَى الْأَوْزَارِ.



خُطُواتٌ إلى السَّعَادَةِ

الإِخْلَاصُ

مَا الْإِخْلَاصُ؟

ضابطُ الإِخْلَاصِ: أَنْ تَكُونَ نِيَّتَكَ فِي هَذَا الْعَمَلِ لِلَّهِ؛ لَا تُرِيدُ بِهَا غَيْرَ اللَّهِ، لَا رِيَاءً، وَلَا سُمْعَةً، وَلَا رِفْعَةً، وَلَا تَزَلُّفًا^(١) عِنْدَ أَحَدٍ، وَلَا تَتَرَقَّبُ مِنَ النَّاسِ مَدْحًا، وَلَا تَخْشَى مِنْهُمْ قَدْحًا.

فَإِذَا كَانَتْ نِيَّتُكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ تُزَيِّنْ عَمَلَكَ مِنْ أَجْلِ الْبَشَرِ؛ فَأَنْتَ مُخْلِصٌ، يَقُولُ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢): «الْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُعَافِيكَ اللَّهُ مِنْهُمَا»^(٣).

فَأَخْلِصْ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَلَا تَتَطَلَّعْ لِأَحَدٍ، وَأَدْخِلْ نَفْسَكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].



(١) أي: تقرباً. الصحاح (٤/١٣٧٠).

(٢) هو: أبو عليّ الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، وُلِدَ سَنَةَ (١٠٥هـ)، وَتَوَفِّي سَنَةَ (١٨٧هـ). سير أعلام النبلاء (٨/٤٢١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (١/١١٠).

(٣) حلية الأولياء (٨/٩٥).

الإِخْلَاصُ لِلَّهِ طَرِيقُ السَّعَادَةِ

غنى العبدِ بطاعةِ رَبِّهِ والإقبالِ عليه، وإخلاصُ الأعمالِ لِلَّهِ أصلُ الدِّينِ، وتاجُ العملِ، وطريقُ السَّعَادَةِ، وهو عنوانُ الوَقَارِ، وسُمُوُّ الهِمَّةِ، ورُجْحانِ العقلِ، ولا يتمُّ أمرٌ ولا تحصلُ بركةٌ إلَّا بِصلاحِ القصدِ والنِّيَّةِ.

وقد أمرَ اللَّهُ نبيَّه مُحَمَّدًا ﷺ بالإِخْلَاصِ في أكثرِ من آيةٍ، فقال له: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال له: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، وقال: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، فصلاحُ العملِ من صلاحِ النِّيَّةِ، وصلاحُ النِّيَّةِ من صلاحِ القلبِ.

وأصلُ قَبولِ الأعمالِ عندَ اللَّهِ: الإِخْلَاصُ مع المُتَابَعَةِ؛ يقولُ ابنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه^(١): «لَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يَنْفَعُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمَا وَافَقَ السُّنَّةَ»^(٢).

والإِخْلَاصُ عزيزٌ في جانبِ العباداتِ؛ يقولُ ابنُ الجوزيِّ رحمته الله^(٣):

-
- (١) هو: أبو عبد الرَّحْمَنِ عبدَ اللَّهِ بن مسعود بن غافل الهذليّ، أسلم في أوّل بُزُوغ فجر الإسلام، وتوفي سنة (٣٢هـ) أو (٣٣هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/٣٨١).
- (٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٨٠٣)، رقم (١٠٨٩).
- (٣) هو: أبو الفرج عبد الرَّحْمَنِ بن عليّ الفُرْشِيّ البغداديّ، المعروف بابن الجوزيِّ، ولد سنة (٥٠٨هـ)، وتوفي سنة (٥٩٧هـ). التكملة لوفيات النقلة للمنذري (١/٣٩٤)، سير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٥).

«مَا أَقَلَّ مَنْ يَعْمَلُ لِلَّهِ تَعَالَى خَالِصاً؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُحِبُّونَ ظُهُورَ عِبَادَاتِهِمْ»^(١).

ويقولُ ابنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢): «الرِّيَاءُ الْمَحْضُ لَا يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤْمِنٍ فِي فَرَضِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَقَدْ يَصْدُرُ فِي الصَّدَقَةِ الْوَاجِبَةِ أَوْ الْحَجِّ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، أَوْ الَّتِي يَتَعَدَّى نَفْعُهَا؛ فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ فِيهَا عَزِيزٌ، وَهَذَا الْعَمَلُ لَا يَشْكُ مُسْلِمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ، وَأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ الْمَقْتَّ مِنَ اللَّهِ وَالْعُقُوبَةَ»^(٣).

وقد افتتح بعض العلماء - كالإمام البخاري^(٤) في صحيحه^(٥)، والمقدسي^(٦) في «عمدة الأحكام»^(٧)، والبغوي^(٨) في «شرح السنة»^(٩)

(١) صيد الخاطر (ص ٢٦٤).

(٢) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رَجَبِ البَغْدَادِيِّ، الدَّمَشْقِيُّ، الحنبلي، وُلِدَ سنة (٧٣٦هـ)، وتوفي سنة (٧٩٥هـ). الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد (١/٤٦)، طبقات الحفاظ للسيوطي (١/٥٤٠).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/٧٩).

(٤) هو: أبو عبد الله مُحَمَّدُ بن إِسْمَاعِيلَ بن إبراهيم الجُعْفِيُّ مولا هم، البخاري، وُلِدَ سنة (١٩٤هـ)، وتوفي سنة (٢٥٦هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/١٠٤).

(٥) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١).

(٦) هو: أبو مُحَمَّدُ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور الجَمَاعِيُّ المَقْدِسِيُّ، وُلِدَ سنة (٥٤١هـ)، وتوفي سنة (٦٠٠هـ). ذيل طبقات الحنابلة (١/٣).

(٧) ضمن «متون طالب العلم - المتون الإضافية -» بتحقيقنا (ص ١٣).

(٨) هو: أبو مُحَمَّدُ الحسين بن مسعود الفراء البَغْوِيُّ، توفي سنة (٥١٦هـ)، وعاش بضعا وسبعين سنة. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧/٧٥)، سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩).

(٩) كتاب الإيمان (١/٥)، رقم (١).

و«مَصايحِ السُّنَّةِ»^(١)، والنَّوويُّ^(٢) في «الأَرْبعينِ النَّوويةِ»^(٣) - مُصنَّفاتهمِ بحديث: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»**؛ إشارةً منهم إلى أهميَّةِ الإخلاصِ في الأعمالِ.

يقولُ سُفيانُ الثَّوريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٤): «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي؛ لِأَنَّهَا تَتَقَلَّبُ عَلَيَّ»^(٥).

والعَمَلُ من غيرِ نِيَّةٍ خَالِصَةٍ لَوَجْهِ اللَّهِ طاقَةٌ مُهدِرةٌ، وَجُهْدٌ مُبعَثَرٌ، وهو مَردودٌ على صاحِبِهِ، واللَّهُ تعالى غنيٌّ حميدٌ؛ لا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا ما كان خالِصاً له سبحانه؛ يقولُ أبو أَمامَةَ البَاهِلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٦): «جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ؛ ما لَهُ؟ فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: **لَا شَيْءَ لَهُ، فَأَعادَها عَلَيْهِ ثلاثَ مَرَّاتٍ وَرَسولُ اللَّهِ ﷺ يَقولُ لَهُ: لَا شَيْءَ لَهُ، ثُمَّ قالَ: إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا ما كانَ لَهُ خالِصاً،**

(١) في المقدمة (١/١١٠).

(٢) هو: أبو زكريَّا يحيى بن شرف بن مُرِّي النَّوويُّ، الشَّافعيُّ، وُلد سنة (٦٣١هـ)، وتوفي سنة (٦٧٦هـ). طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/٣٩٥)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (٢/١٥٣).

(٣) ضمن «متون طالب العلم - المستوى الأول -» بتحقيقنا (ص ٧٩).

(٤) هو: أبو عبد الله سُفيان بن سعيد بن مسروق الثَّوريُّ، وُلد سنة (٩٧هـ)، وتوفي سنة (١٢٦هـ). سير أعلام النبلاء (٧/٢٢٩).

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/٦٢).

(٦) هو: أبو أَمامَةَ صُدِّي بن عجلان بن وهب، البَاهِلِيُّ، كان يسكن حمص، توفي سنة (٨١هـ)، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وهو آخر مَنْ مات بالشَّام من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٧٣٦).

وَابْتُغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ» رواه النسائي^(١).

ويقول عليه السلام: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي؛ تَرَكَتُهُ وَشِرْكُهُ» رواه مسلم^(٢).



-
- (١) كتاب الجهاد، باب مَنْ غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، رقم (٣١٤٠).
- والتَّسَائِيَّ هُوَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ عَلِيٍّ الْخُرَاسَانِيُّ النَّسَائِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (٢١٥هـ)، وَتَوَفَّى ﷺ سَنَةَ (٣٠٣هـ). تَذَكْرَةُ الْحِفَافِ لِلذَّهَبِيِّ (١٩٤/٢).
- (٢) كتاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ، رَقْمُ (٢٩٨٥)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
- وَمُسْلِمٌ هُوَ: أَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمِ الْقُشَيْرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ (٢٠٤هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (٢٦١هـ). تَذَكْرَةُ الْحِفَافِ لِلذَّهَبِيِّ (١٢٥/٢).

مَا الْأَعْمَالُ الَّتِي أُخْلِصُ فِيهَا لِلَّهِ؟

بعضُ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ الإِخْلَاصَ إِنَّمَا هُوَ فَقطُ فِي الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَأَعْمَالِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ - كالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالإِنْفَاقِ - ؛ وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ ؛ فَالإِخْلَاصُ وَاجِبٌ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ، حَتَّى فِي زِيَارَةِ الْجَارِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، هَذِهِ مَطْلُوبٌ فِيهَا الإِخْلَاصُ؛ وَهِيَ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ.

وَكُلُّ فِعْلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ وَاجِبٌ فِيهِ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ مَهْمَا كَانَ الْعَمَلُ، حَتَّى فِي جَانِبِ الْمُعَامَلَاتِ - كَالصَّدَقِ فِي الْبَيْعِ وَالشُّرَاءِ، وَحُسْنِ مُعَامَلَةِ الزَّوْجَةِ، وَالإِحْتِسَابِ فِي إِصْلَاحِ الْأَوْلَادِ وَغَيْرِهَا - ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ» متفق عليه (١).

فَكُلُّ أَمْرٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ - مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ - فَهُوَ عِبَادَةٌ، وَوَاجِبٌ فِيهَا الإِخْلَاصُ، وَإِنْ دَقَّ الْعَمَلُ.



(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية، رقم (٥٦)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم (١٦٢٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

بِرْكَةِ الْعَمَلِ فِي الْإِخْلَاصِ

إذا أخلصَ العبدُ النِّيَّةَ وعَمِلَ عملاً صالحاً - ولو كان يسيراً -؛ فإنَّ اللهَ يتقبَّلُهُ ويضاعفُهُ.

يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ»، وفي رواية: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنْحِيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ؛ فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ» متفق عليه (١).

فإِخْلَاصِهِ - مع يُسْرِ الْعَمَلِ - أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ. وتأمَّلْ في المرأةِ البَغِيَّةِ الَّتِي عَمِلَتْ أَعْمَالاً قَبِيحَةً، ثُمَّ عَمِلَتْ عملاً يسيراً في أعينِ البشرِ؛ وهو سِقَايَةُ كَلْبٍ، وليس إنساناً، فغفر اللهُ لها بذلك الْعَمَلِ الْيَسِيرِ، مع سوءِ عَمَلِهَا مِنَ الْبَغْيِ؛ يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يَطِيفُ^(٢) بِرَكِيَّةٍ^(٣)، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَزَعَتْ مُوقَهَا^(٤) فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَّتَهُ؛ فَعَفِرَ لَهَا بِهِ» متفق عليه (٥).

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به، رقم (٢٤٧٢)، ومسلم، كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، رقم (١٩١٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: يَدُور. مقياس اللغة (٣/٤٣٢).

(٣) الرَكِيَّة: البئر. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/٢٩٠).

(٤) الموق: الحُفَّت. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/٣٧٨).

(٥) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٦٧)، ومسلم، كتاب السَّلام، باب فضل ساقِي البهائم المُحترمة وإطعامها، رقم (٢٢٤٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعِبْرَةُ في الإسلام لَيْسَتْ بكثرةِ العملِ فَحَسْبُ؛ إِنَّمَا العِبْرَةُ: بصِحَّةِ النِّيَّةِ والقَّصْدِ، وكثرةِ العَمَلِ المُوَافِقِ لِسُنَّةِ المصْطَفَى ﷺ، وقد جمع ربُّنا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فجمعت هذه الآية: الإخلاصَ، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

والعملُ - وإن كان كثيراً - مع فقدِ صحَّةِ المُعتقَدِ يُورِدُ صاحبه النَّارَ - والعياذُ بالله تعالى -؛ قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا؛ لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا؛ لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ»^(١).



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/١٢٤).

بِالنَّبِيِّ الصَّادِقَةِ تَنَالُ ثَوَابَ الْعَمَلِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْ

الكَرَمُ من صفات ربِّ العالمين، والعبْدُ إذا أَحَسَنَ الْقَصْدَ ولم تَتَهَيَّأْ له أسبابُ عملِ الصَّالِحَاتِ؛ فَإِنَّهُ يُؤَجَّرُ على ذلكِ الفعلِ وإن لم يَعْمَلْهُ؛ كَرَمًا من اللَّهِ وَفَضْلًا، يَقُولُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١): «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاوْدِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ؛ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ» رواه مسلم^(٢).

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٣) عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤) قَالَ: «رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلَفْنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَاوْدِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ».

وَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي لَا مَالَ عِنْدَهُ وَيُنَوِّي الصَّدَقَةَ وَيَقُولُ: لو أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ: «فَهُوَ بَيْنَتِهِ؛ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»

(١) هو: أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو الخَزْرَجِيُّ الأَنْصَارِيُّ، كان مع مَنْ شَهِدَ العَقَبَةَ، توفي سنة (٧٤هـ)، وعاش أربعاً وتسعين سنة. الإصابة في تمييز الصحابة (٥٤٦/١).

(٢) كتاب الإمامة، باب ثواب مَنْ حَبَسَهُ عن الغزو مرض أو عذر آخر، رقم (١٩١١).

(٣) كتاب الجهاد والسير، باب مَنْ حَبَسَهُ العذر عن الغزو، رقم (٢٨٣٩).

(٤) هو: أبو حمزة أنس بن مالك بن النَّضْرِ الخَزْرَجِيُّ الأَنْصَارِيُّ، غزا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانين غزوات، توفي سنة (٩٣هـ)، وهو آخر مَنْ توفي بالبصرة من الصَّحابة. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٣١/١).

رواه الترمذي^(١).

وفي صحيح البخاري^(٢) ومسلم^(٣): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما^(٤) عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم - فِيمَا يَرُوهُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِثَّةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ».

فالمسلم يجعل نيته في كل خير قائمة؛ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٥): «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ: صِدْقُ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ»^(٦)، ويقول داود الطائي رضي الله عنه^(٧): «رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ إِنَّمَا يَجْمَعُهُ حُسْنُ النِّيَّةِ»^(٨).

(١) كتاب الرُّهُد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، رقم (٢٣٢٥)، من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه.

والترمذي هو: أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، وُلد سنة (٢١٠هـ)، وتوفي سنة (٢٧٩هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/١٥٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/٢٧٠).

(٢) كتاب الرِّقَاق، باب مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ، رقم (٦٤٩١).

(٣) كتاب الإيمان، باب إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، رقم (١٣١).

(٤) هو: أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسِ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وُلد سنة (٣ق.هـ)، وتوفي سنة (٦٨هـ) أو (٧٠هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/١٨٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/١٢١).

(٥) هو: أمير المؤمنين أَبُو حَفْصِ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ بن نُفَيْلِ الْعَدَوِيِّ الْقُرَشِيِّ، وُلد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، قتله أبو لؤلؤة المجوسي سنة (٢٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/١١٤٤).

(٦) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٧١).

(٧) هو: أَبُو سَلِيمَانَ دَاوُدَ بن نَصِيرِ الطَّائِيِّ الْكُوفِيِّ، وُلد بعد سنة (١٠٠هـ)، وتوفي سنة (١٦٢هـ). سير أعلام النبلاء (٧/٤٢٢).

(٨) جامع العلوم والحكم (١/٧٠).

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْمُلَ لَهُ عَمَلُهُ فَلْيُحْسِنِ نِيَّتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُ الْعَبْدَ إِذَا حَسَنَتْ نِيَّتُهُ حَتَّى بِاللُّقْمَةِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ» متفق عليه^(١).

وكان السلف الصالح يحثون على حسن النية في كل أمر صالح؛ يقول يحيى بن أبي كثير رضي الله عنه^(٢): «تَعَلَّمُوا النِّيَّةَ؛ فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ»^(٣)، ويقول زبيد اليمامي رضي الله عنه^(٤): «أَنْوِ فِي كُلِّ شَيْءٍ تُرِيدُهُ الْخَيْرَ، حَتَّى خُرُوجِكَ إِلَى الْكُنَاسَةِ»^(٥)^(٦).



(١) سبق تخريجه (ص ٢٣).

(٢) هو: أبو نصر يحيى بن أبي كثير الطائفي مولاهم، اليمامي، توفي سنة (١٢٩هـ). سير أعلام النبلاء (٢٧/٦).

(٣) حلية الأولياء (٧٠/٣)، جامع العلوم والحكم (٧٠/١).

(٤) هو: زبيد بن الحارث اليمامي الكوفي، محدث، من صغار التابعين، توفي سنة (١٢٢هـ). سير أعلام النبلاء (٢٩٦/٥).

(٥) الكُنَاسَةُ: موضعٌ لقضاء الحاجة وإلقاء القمامة. الصحاح (٢٠١٥/٥).

(٦) جامع العلوم والحكم (٧٠/١).

ثَمَرَاتُ الْإِخْلَاصِ

الْعَمَلُ الصَّالِحُ لَا يُقْبَلُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، وبدون إخلاصٍ يُرَدُّ الْعَمَلُ - ولو كَثُرَ -، وَالْإِخْلَاصُ مَانِعٌ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنْ تَسَلُّطِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْعَبْدِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وَالْمُخْلِصُ مَحْفُوظٌ بِحِفْظِ اللَّهِ مِنَ الْعِصْيَانِ وَالْمَكَارِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وَفِي الْإِخْلَاصِ طَمَائِنَةُ الْقَلْبِ، وَشُعُورٌ بِالسَّعَادَةِ، وَرَاحَةٌ مِنْ ذُلِّ الْخَلْقِ، يَقُولُ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَرَفَ النَّاسَ اسْتِرَاحَ»^(١)؛ أَي: إِذَا عَرَفَ أَنَّهُمْ لَا يَنْفَعُونَهُ وَلَا يَضُرُّونَهُ؛ اسْتِرَاحَ مِنْهُمْ.

وَبِالْإِخْلَاصِ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ وَطَرُقُ أَبْوَابِ الْخَيْرَاتِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ؛ إِلَّا أَرْدَدَتْ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً» متفق عليه^(٢)، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَاشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣): «مَا

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٩٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد ابن خولة، رقم (١٢٩٥)، ومسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم (١٦٢٨)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هو: أبو بكر بن عيَّاش بن سالم مولى واصل الأحمدي الحنَّاط، وفي اسمه خلاف كبير، وُلِدَ سَنَةَ (٩٥هـ)، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ (١٩٣هـ). سير أعلام النبلاء (٨/٤٩٥)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١/١٩٤).

سَبَقَهُمْ أَبُو بَكْرٍ - أَي: مَا سَبَقَ الصَّحَابَةَ - بِصَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ؛ وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي قَلْبِهِ»^(١).

وَالْعَمَلُ الْقَلِيلُ مَعَ الْإِخْلَاصِ يَعِظُمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَتَضَاعَفُ الثَّوَابُ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ -؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّبُهَا^(٢) لِصَاحِبِهَا، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْه»^(٣)، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ» متفق عليه^(٤).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥): «رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعْظِمُهُ النَّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النَّيَّةُ»^(٦).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]: «أَي: بِحَسَبِ إِخْلَاصِهِ فِي عَمَلِهِ»^(٧).

وَإِذَا قَوِيَ الْإِخْلَاصُ وَعَظُمَتِ النَّيَّةُ، وَأُخْفِيَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ - مِمَّا

(١) منهاج السنَّة لشيخ الإسلام (٢٢٣/٦).

(٢) أَي: يَحْفَظُهَا، وَالتَّرْبِيَةَ وَالتَّرْبِيْبَ: الْقِيَامُ عَلَى الشَّيْءِ، وَالْإِصْلَاحُ وَالْمَعَاهِدَةُ لَهُ. مَشَارِقُ الْأَنْوَارِ (٢٨٠/١)، النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (١٧٩/٢).

(٣) الْقَلْوُ: الْمُهْرُ الصَّغِيرُ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٤٧٤/٣).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ، رَقْمٌ (١٤١٠)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَّتِهَا، رَقْمٌ (١٠١٤)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) هُو: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ وَاضِحِ الْحَنْظَلِيِّ مَوْلَاهُمْ، الْمَرْوَزِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (١١٨هـ)، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ (١١٨١هـ). تَذَكْرَةُ الْحِفَاظِ لِلذَّهَبِيِّ (٢٠١/١).

(٦) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ (٧١/١).

(٧) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٦٩٣/١).

يُشْرَعُ فِيهِ الْإِحْفَاءُ - ؛ قَرَّبَ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَأَظْلَمَ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ،
 يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ ... - وَذَكَرَ مِنْهُمْ: - وَرَجُلٌ
 تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» متفق
 عليه^(١).



(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضَلَ الْمَسَاجِدَ،
 رقم (٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزَّكَاةِ، باب فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، رقم (١٠٣١)، من حديث
 أبي هريرة رضي الله عنه.

كَيْفَ أَكُونُ مُخْلِصاً لِلَّهِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِي؟

الشَّيْطَانُ يَتَعَرَّضُ لِلإِنْسَانِ لِيُفْسِدَ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي جِهَادٍ مَعَ عَدُوِّهِ إبْلِيسَ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ عَلَى الإِيمَانِ بِهِ، وَإِخْلَاصِ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لَهُ وَحْدَهُ؛ وَمِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ الإِخْلَاصِ:

١ - الدُّعَاءُ:

الهِدَايَةُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالقُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، فَالْجَأُ إِلَى مَنْ بِيَدِهِ الْهِدَايَةُ، وَأَظْهَرَ لَهُ حَاجَتَكَ وَفَقْرَكَ، وَاسْأَلْهُ دَوْمًا الإِخْلَاصَ، وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِرُوحِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا»^(١).

٢ - إِخْفَاءُ الْعَمَلِ:

كُلَّمَا اسْتَتَرَ الْعَمَلُ - الَّذِي يُشْرَعُ فِيهِ الإِخْفَاءُ - كَانَ أَقْرَبُ إِلَى الإِخْلَاصِ وَأَرْجَى لِلقَبُولِ، وَالْمُخْلِصُ الصَّادِقُ يُحِبُّ إِخْفَاءَ حَسَنَاتِهِ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُخْفِيَ سَيِّئَاتِهِ، وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظَلِّهِمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» متفق عليه.

(١) رواه أحمد في الزهد (ص ٩٧)، رقم (٦١٧).

يقول بشر بن الحارث رضي الله عنه^(١): «لَا تَعْمَلْ لِتُذَكَّرَ، اكْتُمِ الْحَسَنَةَ كَمَا تَكْتُمُ السَّيِّئَةَ»^(٢).

وقد فضلت نافلة صلاة الليل على نافلة النهار، واستغفار السحر على غيره؛ لأن ذلك أبلغ في الإسرار، وأقرب إلى الإخلاص.

٣ - النَّظَرُ إِلَى أَعْمَالِ الصَّالِحِينَ مِمَّنْ هُمْ فَوْقَكَ:

في أعمالك الصالحة لا تنظر إلى أعمال رجال زمانك ممن هم دونك في المسابقة إلى الخيرات، وتطلع دائماً إلى الاقتداء بالأنبياء والصالحين؛ يقول سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ أُقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقرأ سير الصالحين من العلماء والعباد والنبلاء والزهاد؛ فهو أرجى لزيادة الإيمان في القلب.

٤ - اخْتِقَارُ الْعَمَلِ:

آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر إلى نفسه بعين الرضا؛ فقد أهلكها، ومن نظر إلى عمله بعين العجب؛ قل معه الإخلاص، أو نزع منه، أو حبط العمل الصالح بعد العمل، يقول ابن القيم رضي الله عنه: «وَعَلَامَةُ قَبُولِ الْعَمَلِ: اخْتِقَارُهُ وَاسْتِقْلَالُهُ، وَصِغْرُهُ فِي قَلْبِكَ، حَتَّى إِنَّ الْعَارِفَ لَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عَقِيبَ طَاعَتِهِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ثَلَاثًا»^(٣).

(١) هو: أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي، المشهور بـ«بشر الحافي»، ولد سنة (١٥٢هـ)، وتوفي سنة (٢٢٧هـ). سير أعلام النبلاء (١٠/٤٦٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٤٧٦). (٣) مدارج السالكين (٢/٦٢).

٥ - الخَوْفُ مِنْ عَدَمِ قَبُولِ الْعَمَلِ :

كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ تَفَعَّلَهُ احْتَقِرَهُ، وَإِذَا عَمِلْتَهُ كُنْ خَائِفاً مِنْ عَدَمِ قَبُولِهِ؛ وَمِنْ حِفْظِهِ: عَدَمُ الْعُجْبِ وَالْفَخْرِ بِهِ؛ بَلْ يَبْقَى الخَوْفُ مِنْ عَدَمِ قَبُولِهِ مُعَلِّقا، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِءٌ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَافُونَ﴾ [النحل: ٩٢].

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ^(١)، وَالتِّرْمِذِيُّ^(٢) أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٣) قَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي وَيَشْرِبُ الخَمْرَ وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ وَعَلَى؟

قَالَ: لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ خَائِفُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُمْ».

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: «أَيُّ: يُعْطُونَ العَطَاءَ

(١) في المسند، رقم (٢٥٢٦٣).

والإمام أحمد هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي، إمام أهل السنة والجماعة، وأحد أئمة المذاهب الأربعة، وُلِدَ سنة (١٦٤هـ)، وتوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٢٤١هـ). طبقات الحنابلة (٤/١).

(٢) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون، رقم (٣١٧٥).

(٣) هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وُلِدَتْ بعد المبعث بأربع أو خمس سنين، تزوجها رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة قبل الهجرة بسنتين، توفيت سنة (٥٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٨٨١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٨/٢٣١).

وَهُمْ خَائِفُونَ وَجِلُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ؛ لِحَوْفِهِمْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ قَصَرُوا فِي الْقِيَامِ بِشَرْطِ الْإِعْطَاءِ»^(١).

والإخلاصُ يحتاجُ إلى مُجَاهَدَةٍ قَبْلَ الْعَمَلِ وَأَثْنَاءَهُ وَبَعْدَهُ.

٦ - عَدَمُ التَّأَثُّرِ بِكَلَامِ النَّاسِ:

الرَّجُلُ الْمَوْفَّقُ هُوَ الَّذِي لَا يَتَأَثَّرُ بِمَدْحِ النَّاسِ؛ فَإِذَا أَثْنَوْا عَلَيْهِ خَيْرًا - إِنْ فَعَلَ طَاعَةً - لَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إِلَّا تَوَاضَعًا وَخَشْيَةً مِنَ اللَّهِ، وَأَيَقَنَ بِأَنَّ مَدْحَ النَّاسِ لَهُ فِتْنَةٌ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُنَجِّيه مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَنْفَعُ مَدْحُهُ وَيُضِرُّ ذَمُّهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

فَأَنْزَلَ النَّاسَ مَنزِلَةَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ - فِي عَدَمِ جَلْبِ النِّفْعِ لَكَ، وَدَفْعِ الضَّرِّ عَنْكَ -، يَقُولُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَرَكَ النَّظَرَ إِلَى الْخَلْقِ، وَمَحَوُّ الْجَاهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ بِالْعَمَلِ، وَإِخْلَاصِ الْقَصْدِ، وَسْتِرِّ الْحَالِ؛ هُوَ الَّذِي رَفَعَ مَنْ رَفَعَ»^(٢).

٧ - اسْتِصْحَابُ أَنْ النَّاسَ لَا يَمْلِكُونَ جَنَّةً وَلَا نَارًا:

إِذَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ أَنَّ الَّذِينَ يُرَائِيهِمْ سَوْفَ يَقِفُونَ مَعَهُ فِي الْمَحْشَرِ خَائِفِينَ عَارِينَ؛ أَدْرَكَ أَنَّ صَرْفَ النِّيَّةِ لَهُمْ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ؛ فَهَمُّ غَيْرِ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ يُخَفِّفُوا عَنْهُ مِنْ وَطْأَةِ الْمَحْشَرِ شَيْئًا؛ بَلْ هُمْ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الضَّنْكِ.

(١) تفسير ابن كثير (٥/٤٨٠).

(٢) صيد الخاطر (ص ٢٦٤).

فَإِذَا عَمِلْتَ ذَلِكَ؛ عَلِمْتَ أَنَّ الْعَمَلَ حَقُّهُ أَنْ لَا يُقْصَدَ بِهِ إِلَّا مَنْ يَمْلِكُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَمَنْ لَهُ ذَلَّتْ الرَّقَابُ.

فعليك - أيها المؤمن - أن تُوقِنَ بِأَنَّ الْبَشَرَ لَا يَمْلِكُونَ جَنَّةً يُقَدِّمُونَكَ إِلَيْهَا، وَلَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى إِخْرَاجِكَ مِنَ النَّارِ - لَوْ طَلَبْتَ مِنْهُمْ إِخْرَاجَكَ مِنْهَا -؛ بَلْ لَوْ اجْتَمَعَ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ - مِنْ آدَمَ إِلَى آخِرِهِمْ - وَوَقَّفُوا خَلْفَكَ؛ لَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُقَدِّمُوكَ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَوْ بِخُطْوَةٍ وَاحِدَةٍ.

إِذَا لَمَّاذَا تُرَائِي الْبَشَرَ وَهَمَّ لَا يَمْلِكُونَ لَكَ شَيْئاً؟! قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رحمته الله: «مَنْ صَامَ وَصَلَّى وَذَكَرَ اللَّهَ، وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ عَرْضَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ لَهُ فِيهِ بِالْكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا نَفْعَ فِي ذَلِكَ لِصَاحِبِهِ، لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ فِيهِ وَلَا لِغَيْرِهِ»^(١)؛ أَي: وَلَا نَفْعَ فِيهِ أَيْضاً لِغَيْرِهِ.

ثُمَّ إِنَّ الَّذِينَ تُزَيِّنُ عَمَلَكَ لَهُمْ - مِنْ أَجْلِ أَنْ يَمْدَحُوكَ - لَنْ تُحْصَلَ مُرَادُكَ مِنْهُمْ؛ بَلْ إِنَّهُمْ سَوْفَ يَذْمُونَكَ، وَتُفْضَحَ عِنْدَهُمْ، وَيُلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ بُغْضُكَ، يَقُولُ رحمته الله: «مَنْ يُسْمَعُ؛ يُسْمَعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي؛ يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» متفق عليه^(٢).

أَمَّا إِذَا أَخْلَصْتَ لِلَّهِ أَحَبَّكَ اللَّهُ، وَأَحَبَّكَ الْخَلْقُ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] أَي: مَحَبَّةً^(٣).

(١) جامع العلوم والحكم (١/٦٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرِّقَاق، باب الرِّياءِ والسُّمعةِ، رقم (٦٤٩٩)، ومسلم، كتاب الرُّهَدِ والرِّقَاقِ، باب مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ، رقم (٢٩٨٧)، من حديث جنْدَبِ رحمته الله.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/٢٦٩).

٨ - تَذَكَّرْ أَنَّكَ فِي الْقَبْرِ بِمُفْرَدِكَ:

النُّفُوسُ تَصْلُحُ بِتَذَكُّرِ مَصِيرِهَا، وَإِذَا أَيْقَنَ الْعَبْدُ أَنَّهُ يُوسَدُ اللَّحْدَ مُنْفَرِداً بِلَا أُنَيْسٍ، وَأَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْبَشَرِ لَنْ يَرْفَعُوا عَنْهُ شَيْئاً مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ؛ أَيْقَنَ حِينَ ذَاكَ أَنَّهُ لَا يَنْجِيهِ إِلَّا إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِخَالِقِهِ وَحْدَهُ ﷻ؛ يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صِدْقُ التَّأَهُبِ لِلِقَاءِ اللَّهِ مِنْ أَنْفَعِ مَا لِلْعَبْدِ وَأَبْلَغِهِ فِي حُصُولِ اسْتِقَامَتِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ اسْتَعَدَّ لِلِقَاءِ اللَّهِ انْقَطَعَ قَلْبُهُ عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَمَطَّالِبُهَا»^(١).



(١) طريق الهجرتين (ص ١٧٦).

هَلِ الرِّيَاءُ يَدْخُلُ عَلَى الصَّالِحِينَ؟

مَدَاخِلُ الشَّيْطَانِ عَلَى الْعَبْدِ عَدِيدَةٌ، فَهُوَ يُلْبَسُ كُلَّ صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ لِبُوسَتِهِمْ؛ فَيَدْفَعُ التُّجَّارَ إِلَى أَكْلِ الرِّبَا، وَيُزَيِّنُ لِلنِّسَاءِ أُمُورَ الزَّيْنَةِ الْمَحْرَمَةِ، وَيَدْخُلُ عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ بَابِ الرِّيَاءِ.

قال الطَّيْبِيُّ رحمته الله (١) عن الرِّيَاءِ: «وَهُوَ مِنْ أَضْرَّ غَوَائِلِ النَّفْسِ وَبَوَاطِنِ مَكَائِدِهَا؛ يُبْتَلَى بِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْعُبَّادُ وَالْمُشْمِرُونَ عَنْ سَاقِ الْجِدِّ لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْآخِرَةِ» (٢).

وهو مِنْ أَخْفَى الْأَبْوَابِ وَأَضْرَّهَا عَلَى الْعَبْدِ؛ قال في تيسير العزيز الحميد (٣): «الرِّيَاءُ أَخْوَفُ عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ».

والنَّبِيُّ صلوات الله وسلامه عليه كان يَخَافُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالُوا: بَلَى، قال: الشُّرْكُ الْخَفِيُّ: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ» رواه أحمد (٤).

والصَّالِحُ إِذَا كَانَ يُرَائِي بِعَمَلِهِ يُعَذَّبُ فِي الْآخِرَةِ قَبْلَ غَيْرِهِ؛

(١) هو: الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّيْبِيِّ، تُوْفِيَ سَنَةَ (٧٤٣هـ). الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (٢/١٨٥).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١١/٣٣٧٤).

(٣) (ص ٤٦١).

(٤) في المسند، رقم (١١٢٥٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يقول ﷺ: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكَتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»
رواه مسلم^(١).

فتأمل هذا الحديث، فإنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ فِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمُجَاهِدُ، وَالْمُتَعَلِّمُ، وَالْمُتَصَدِّقُ؛ إِذَا فَسَدَتْ نِيَّاتُهُمْ، وَيُسْحَبُونَ عَلَىٰ وَجْهِهِمْ فِي النَّارِ، مَعَ أَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلُوهُ مِنْ أَجْلِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ جُنُوحُ النِّيَّةِ عَنِ الْإِحْلَاصِ أَرْدَاهُمْ فِي الْهَآوِيَةِ.



(١) كتاب الإمامة، باب مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، رَقْم (١٩٠٥)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

لَيْسَ هَذَا مِنَ الرِّيَاءِ

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ، ثُمَّ أَلْقَى اللَّهُ لَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ - وهو لم يترقّب ذلك -، ففَرِحَ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَاسْتَبَشَرَ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يَضُرُّهُ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الرِّيَاءِ.

يقول أبو ذرٍّ رضي الله عنه (١): «سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، يَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: **تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**» رواه مسلم (٢).

أَمَّا مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، وَزَيَّنَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَمْدَحَهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا هُوَ الرِّيَاءُ.



(١) هو: أبو ذرٍّ جُنْدُبُ بْنُ جُنَادَةَ بْنِ سَفِيَانَ الْغِفَارِيِّ، أَسْلَمَ رَابِعَ أَرْبَعَةَ، وَقِيلَ: خَامِسَ خَمْسَةَ، وَتُوفِيَ سَنَةَ (٣٣٢هـ). أَسَدُ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ (١/٣٥٧).

(٢) كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ إِذَا أُثْنِيَ عَلَى الصَّالِحِ فَهِيَ بُشْرَى وَلَا تَضُرُّهُ، رَقْمُ (٢٦٤٢).

عِقَابُ الْمُرَائِي

ضاعت آمالُ المرَّائي وخاب سَعْيُهُ، وَعُومِلَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ؛ فَعُوقِبَ
بِعُقُوبَتَيْنِ: عُقُوبَةً فِي الدُّنْيَا، وَعِقَابٍ فِي الآخِرَةِ.
عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا:

يَنْفُضُ اللَّهُ الْمُرَائِي فِي الدُّنْيَا، وَيَهْتِكُ سِتْرَهُ وَيُظْهِرُ خَبَايَاهُ؛ يَقُولُ
النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَسْمَعُ؛ يَسْمَعِ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي؛ يُرَائِي اللَّهُ بِهِ» متفق
عليه.

قال الخَطَّابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١): «مَعْنَاهُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا عَلَى غَيْرِ إِخْلَاصٍ،
وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَسْمَعُوهُ؛ جُوزِي عَلَى ذَلِكَ بِأَنْ يُشْهَرَهُ اللَّهُ
وَيَفْضَحَهُ، وَيُظْهِرَ مَا كَانَ يُبْطِنُهُ»^(٢).

حَتَّى وَإِنْ أَخْفَى الْمُرَائِي كَوَامِنَ النَّفْسِ وَخَفَايَا الصَّدْرِ، فَإِنَّ اللَّهَ
يُعْلِنُهَا؛ يَقُولُ ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطِ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ» متفق
عليه^(٣).

(١) هو: أبو سليمان حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الخَطَّابِيُّ، ولد سنة (٣٠٠ و بضع عشرة هـ)،
وتوفي سنة (٣٨٨هـ). سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧).

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (٢٢٥٧/٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب النِّكَاحِ، باب المُتَشَبِّعُ بما لم يَنْلُ، وما ينهى من افتخار الصَّرَّةِ، رقم
(٥٢١٩)، ومسلم، كتاب اللِّبَاسِ والزَّيْنَةِ، باب النَّهْيِ عن التَّزْوِيرِ فِي اللِّبَاسِ وغيره،
والتَّشَبُّعِ بما لم يُعْطِ، رقم (٢١٣٠)، من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عِقَابُهُ فِي الآخِرَةِ:

المُرَائِي مُتَوَعِّدٌ فِي الآخِرَةِ بِنَارِ جَهَنَّمَ؛ قَالَ ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُحْسِنُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

ويقول ﷺ: «أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ...» وَذَكَرَ مِنْهُمْ: الشَّهِيدَ، وَقَارِئَ الْقُرْآنِ، وَالْمُتَصَدِّقَ - الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ لغيرِ اللَّهِ - إِلَى أَنْ قَالَ: «فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: كَذَا، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

فالمُرَائِي فِي الدُّنْيَا مَفْضُوحٌ، وَفِي الآخِرَةِ مُعَذَّبٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - .



طَلَبُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ

الدِّينُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُدَنَّسَ بِوَحْلِ الدُّنْيَا، وَعَمَلُ الْبِرِّ لَا يَقُومُ عَلَى سُوقِهِ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، وَمَنْ صَرَفَ أَعْمَالَ الْآخِرَةِ لِمَقْصِدِ دُنْيَوِيٍّ عَوِقَبَ بِهِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَحْذَرْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي: رِيحَهَا -» رواه أحمد^(١) وأبو داود^(٢).

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ - وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا - مَعَ فسادِ النِّيَّةِ يُورِدُ صَاحِبَهُ الْمَهَالِكَ، فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ وَيُنْفِقُونَ وَيُقَاتِلُونَ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ؛ قَالَ ﷺ: «وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»^(٣).

وَلَكِنْ لِفَقْدِ صِدْقِهِمْ فِي إِخْلَاصِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

(١) فِي الْمَسْنَدِ، رَقْم (٨٤٥٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، رَقْم (٣٦٦٤)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَبُو دَاوُدَ هُوَ: سَلِيمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَزْدِيِّ السَّجِسْتَانِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ (٢٠٢هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (٢٧٥هـ). تَذَكُرَةُ الْحِفَاطِ لِلذَّهَبِيِّ (١٢٧/٢).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ فِضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ إِثْمِ مَنْ رَأَى بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ تَأَكَّلَ بِهِ أَوْ فَخَّرَ بِهِ، رَقْم (٥٠٥٩)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقِصْرِهَا، بَابُ فَضِيلَةِ حَافِظِ الْقُرْآنِ، رَقْم (٧٩٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ: قَارِئُ الْقُرْآنِ، وَالْمُجَاهِدُ، وَالْمُتَصَدِّقُ بِمَالِهِ - الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ خَالِصَةً لِلَّهِ -؛ وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِيُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، وَفُلَانٌ جَرِيءٌ، وَفُلَانٌ مُتَصَدِّقٌ.

فَابْتَغِ بِقَوْلِكَ وَفِعْلِكَ مَا عِنْدَ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يَبْقَى، وَمَا سِوَاهُ يَنْفَى.

وَإِذَا عَمِلَ الْعَبْدُ عَمَلًا أَظْهَرَ مِنْهُ قَصْدَ الْخَيْرِ، وَنِيَّتَهُ فِي ذَلِكَ تَحْصِيلُ مَقْصِدٍ دُنْيَوِيٍّ؛ فَهَذَا ضَرْبٌ مِنَ النِّفَاقِ الْعَمَلِيِّ؛ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمِنْ أَعْظَمِ خِصَالِ النِّفَاقِ الْعَمَلِيِّ: أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ عَمَلًا وَيُظْهِرُ أَنَّهُ قَصَدَ بِهِ الْخَيْرَ، وَإِنَّمَا عَمَلُهُ لِيَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى غَرَضٍ لَهُ سَيِّئٍ، فَيَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ، وَيَتَوَصَّلُ بِهِذِهِ الْخَدِيعَةِ إِلَى غَرَضِهِ، وَيَفْرَحُ بِمَكْرِهِ وَخِدَاعِهِ وَحَمْدِ النَّاسِ لَهُ عَلَى مَا أَظْهَرَ، وَتَوَصَّلَ بِهِ إِلَى غَرَضِهِ السَّيِّئِ الَّذِي أَبْطَنَهُ؛ وَهَذَا قَدْ حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ عَنِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ»^(١).

وَأَقْبَحُ مِنْ هَذَا مَنْ أَحَبَّ الْمَدْحَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ؛ فَهُوَ مُتَوَعَّدٌ بِالنَّارِ، قَالَ ﷺ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].



التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

مَنْزِلَةُ التَّوَكُّلِ

التَّوَكُّلُ مَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ مِنْ مَنَازِلِ الدِّينِ، قَرَنَهُ اللَّهُ بِالْعِبَادَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِنَيْلِ مَحَبَّتِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فِي التَّوَكُّلِ رِضَا الرَّحْمَنِ، وَمَنْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالرُّسُلُ ﷺ هُمْ أُمَّةُ الْمُتَوَكِّلِينَ؛ فَالْخَلِيلُ ﷺ قَالَ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وَشُعَيْبٌ ﷺ قَالَ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وَمَنْ حَقَّقَ التَّوَكُّلَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» رواه مسلم^(١).



(١) كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، رقم (٢١٨)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

فِعْلُ الْأَسْبَابِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ

الالْتِمَاتُ إِلَى الْأَسْبَابِ فَقَطْ نَقْصٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَمَحْوُ الْأَسْبَابِ أَنْ تَكُونَ أَسْبَاباً نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أُمِرَ بِهَا قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ، وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مُعْتَمِداً عَلَى اللَّهِ لَا عَلَى الْأَسْبَابِ.

وَحَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ: الْقِيَامُ بِالْأَسْبَابِ، وَالْإِعْتِمَادُ بِالْقَلْبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهَا بِيَدِهِ؛ فَإِنْ شَاءَ مَنَعَ اقْتِضَاءَهَا، وَإِنْ شَاءَ جَعَلَهَا مُقْتَضِيَةً لِضِدِّ أَحْكَامِهَا، وَإِنْ شَاءَ أَقَامَ لَهَا مَوَانِعَ وَصَوَارِفَ تُعَارِضُ اقْتِضَاءَهَا وَتَدْفَعُهَا.

وَالْمَوْحِدُ الْمُتَوَكِّلُ لَا يَطْمَئِنُّ إِلَى الْأَسْبَابِ، وَلَا يَرْجُوهَا، كَمَا أَنَّهُ لَا يُهْمِلُهَا أَوْ يُبْطِلُهَا؛ بَلْ يَكُونُ قَائِماً بِهَا نَظِراً إِلَى مُسَبَّبِهَا وَمُجْرِيهَا سُبْحَانَهُ.

وَتَحْقِيقُ التَّوَكُّلِ لَا يُنَافِي السَّعْيَ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقْدُورَاتِ بِهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِتَعَاطِي الْأَسْبَابِ مَعَ أَمْرِهِ بِالتَّوَكُّلِ، فَالسَّعْيُ فِي الْأَسْبَابِ بِالْجَوَارِحِ طَاعَةٌ لَهُ، وَالتَّوَكُّلُ بِالْقَلْبِ عَلَيْهِ إِيمَانٌ بِهِ.

وَالنَّاسُ إِنَّمَا يُؤْتُونَ مِنْ قَلَّةٍ تَحْقِيقَ التَّوَكُّلِ وَوَقُوفِهِمْ مَعَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ بِقُلُوبِهِمْ، وَمُسَاكَنَتِهِمْ لَهَا؛ فَلِذَلِكَ يُجْهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْأَسْبَابِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِيهَا غَايَةَ الْإِجْتِهَادِ وَلَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا مَا قَدَّرَ لَهُمْ،

فلو حَقَّقُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ بِقُلُوبِهِمْ لَسَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ مَعَ أَدْنَى سَبَبٍ، كَمَا يَسُوقُ إِلَى الطَّيْرِ أَرْزَاقَهَا بِمُجَرَّدِ الْغُدُوِّ وَالرَّوَّاحِ - وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الطَّلَبِ وَالسَّعْيِ، وَلَكِنَّهُ سَعْيٌ يَسِيرٌ -، قَالَ فِي تَيْسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ^(١): «وَهَذَا مَعْرُوفٌ بِالنُّصُوصِ وَالتَّجَارِبِ».



(١) (ص ١٣٦).

التَّوَكُّلُ فِي طَلْبِ الرِّزْقِ

السَّعْيُ فِي طَلْبِ الرِّزْقِ هُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ؛ فَالصَّغِيرُ يَنْشُدُهُ، وَالْكَبِيرُ يَطْلُبُهُ، وَأَكْثَرُ هُمُومِ الْحَيَاةِ وَأَحَادِيثِهَا وَأَحْدَاثِهَا تَدُورُ فِي فَلَكَهِ، وَالْمُؤْمِنُ الْحَادِقُ مَنْ يُفَوِّضُ أَمْرَ الرِّزْقِ إِلَى الرَّازِقِ.

فَالرِّزْقُ - مَا كَانَ لَكَ مِنْهُ - أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَقَوَّتِكَ، فَلَا تُضَيِّعْ زَمَانَكَ بِهَمِّكَ بِمَا ضَمِنَ لَكَ مِنَ الرِّزْقِ، فَمَا دَامَ الْأَجْلُ بَاقِيًا كَانَ الرِّزْقُ آتِيًا؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَفَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «تَوَكَّلْ تُسَقِّ إِلَيْكَ الْأَرْزَاقَ بِلَا تَعَبٍ وَلَا تَكَلْفٍ»^(١).

وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَفْنَعَ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ، يَقُولُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢): «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رِزْقِهِ حِجَابٌ، فَإِنْ فَنَعَ وَرَضِيَتْ نَفْسُهُ؛ أَتَاهُ رِزْقُهُ، وَإِنْ اقْتَحَمَ وَهَتَكَ الْحِجَابَ؛ لَمْ يَزِدْ فَوْقَ رِزْقِهِ»^(٣).

وَمَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ دُونَهُ فِي الدُّنْيَا امْتِلَاءً قَلْبُهُ غِنًى مِنَ الْحَيَاةِ؛ يَقُولُ

(١) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

(٢) هو: أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي القرشي، الخليفة الراشد، وُلِدَ سَنَةَ (٦٣هـ)، وتوفي سنة (١٠١هـ). سيرة أعلام النبلاء (٥/١١٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٥٠٢).

النَّبِيُّ ﷺ: «انظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» رواه مُسْلِمٌ^(١).

فَكُنْ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللَّهِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ بِقَلْبِكَ، سَاعِياً لَهُ بِجَوَارِحِكَ، مَعَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْخَلِاقِ الْكَرِيمِ.

وإِيَّاكَ وَالْحِرْصَ عَلَى تَحْقِيقِ أَمَلِكَ مِنَ الْحَيَاةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ يُخْرِجُكَ مِنْ طَوْرِ التَّوَكُّلِ، فَتَحْرِصْ عَلَى تَحْقِيقِ الْمَطْلُوبِ حِرْصاً مُخَالَفاً لِلشَّرْعِ، وَتَعْتَمِدْ عَلَى الْأَسْبَابِ اعْتِماداً تَغْفَلُ بِهِ عَنِ تَفْوِيضِ الْأُمُورِ إِلَى مُسَبِّهَا.

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ؛ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَعْنَى النَّاسِ؛ فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ.



(١) رواه مسلم، كتاب الزُّهد والرِّفائق، رقم (٢٩٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثَمَرَاتُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ

في التَّوَكُّلِ راحةُ البالِ، واستقرارٌ في الحالِ، ودَفْعُ كَيْدِ الأَشْرَارِ، وهو من أقوى الأسباب التي يَدْفَعُ بها العبدُ ما لا يطيق من أذى الخَلْقِ وظُلْمِهِمْ، وبالتَّوَكُّلِ تستغني النَّفْسُ عَمَّا في أيدي النَّاسِ، يقول شيخ الإسلام: «وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيهِ»^(١).

وَمَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى مَوْلَاهُ حَازَ مَنَاهُ؛ فَزَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا، ثُمَّ وَهَبَ سَيِّدًا مِنْ فَضْلَاءِ البَشَرِ وَأَنْبِيَاءِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُبَشِّرًا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

وإبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُشِّرَ بِوَلَدٍ؛ وَامْرَأَتُهُ تَقُولُ بَعْدَ طَوْلِ انْتِظَارٍ: ﴿يَوَيْلَ لِيَ إِذْ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].

وَتَرَكَ الخَلِيلُ هَاجِرَ وَابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ بَوَادٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا مَاءَ؛ فَإِذَا هُوَ نَبِيٌّ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

وَمَا ضَاعَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُجَرَّدًا فِي العَرَاءِ ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ * وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجْرَةً مِّنْ يَاقِينٍ ﴿[الصافات: ١٤٥-١٤٦].

يَقُولُ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ يَسَّتْ مِنَ الخَلْقِ لَا تُرِيدُ مِنْهُمْ شَيْئًا؛ لِأَعْطَاكَ مَوْلَاكَ كُلَّ مَا تُرِيدُ»^(٢).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٢٥٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٤٩٤).

فَأَلْقِ كَنَفَكَ بَيْنَ يَدَيْ الْبَارِي، وَعَلِّقْ رَجَاءَكَ بِهِ، وَسَلِّمِ الْأَمْرَ
لِلرَّحِيمِ، واقْطَعِ الْعَلَاتِقَ عَنِ الْخَلَائِقِ، وَلَا تَرْجُ إِلَّا اللَّهَ.

وَإِذَا قَوِيَ التَّوَكُّلُ وَالرَّجَاءُ، وَجُمِعَ الْقَلْبُ فِي الدُّعَاءِ؛ لَمْ يُرَدَّ
النِّدَاءُ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
أَئِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، فَالْجَأُ إِلَى اللَّهِ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
ذَلِيلٍ؛ يَفْتَحُ لَكَ الْبَابَ.

وَمَنْ تَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِاللَّهِ وَأَنْزَلَ بِهِ حَوَائِجَهُ، وَالتَّجَأَ إِلَيْهِ وَفَوَّضَ أَمْرَهُ
كُلَّهُ إِلَيْهِ؛ كَفَاهُ كُلَّ سُؤْلِهِ، وَيَسَّرَ لَهُ كُلَّ عَسِيرٍ، وَمَنْ تَعَلَّقَ بغيره أَوْ سَكَنَ
إِلَى عِلْمِهِ وَعَقْلِهِ، وَاعْتَمَدَ عَلَى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ؛ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ وَخَذَلَهُ.



حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ

التَّفَاوُلُ حُسْنُ ظَنِّ بِاللَّهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُعْجِبُهُ ذَلِكَ؛ قَالَ ﷺ: «يُعْجِبُنِي الْفَأَلُ، قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» متفق عليه^(١).

وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَالتَّشَاؤْمُ سُوءُ ظَنِّ بِاللَّهِ، وَإِذَا زَادَ إِيمَانَ الْعَبْدِ حَسْنَ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ، وَإِذَا نَقَصَ إِيمَانُهُ بِرَبِّهِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ بِخَالِقِهِ.

وَمِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِالرَّبِّ الْعَظِيمِ: الظَّنُّ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ عِبَادَهُ الْمُؤَحِّدِينَ، وَلَا يُعْلِيهِمْ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُظْهِرُ دِينَهُ، أَوْ ظَنُّ الْعَبْدِ أَنَّهُ يِنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ وَمَخَالَفَتِهِ - كَمَا يِنَالُهُ بِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ -، أَوْ ظَنُّهُ بِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنْ أَجْلِهِ لَمْ يُعَوِّضْهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ، أَوْ الظَّنُّ بِأَنَّ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا لِأَجْلِهِ لَمْ يُعْطِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ، أَوْ الظَّنُّ بِأَنَّهُ إِذَا صَدَقَهُ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ، وَاسْتَعَانَ بِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ؛ أَنَّهُ يُخَيِّبُهُ وَلَا يُعْطِيهِ مَا سَأَلَهُ، أَوْ الظَّنُّ بِأَنَّ الْكَرَمَ طَرِيقٌ إِلَى الْفَقْرِ، أَوْ ظَنُّ الْمُتَصَدِّقِ أَنَّ الْمَالَ يَنْقُصُ بِالصَّدَقَةِ، أَوْ الظَّنُّ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ عَنْ صَدَقَتِهِ مَالًا، أَوْ الظَّنُّ بِأَنَّ التَّمَسُّكَ بِهَذَا الدِّينِ لَا يُعْلِي شَأْنَ

(١) رواه البخاري، كتاب الطَّبِّ، باب لا عَدْوَى، رقم (٥٧٧٦)، ومسلم، كتاب السَّلَام، باب الطَّيْرَةِ وَالْفَأَلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ، رقم (٢٢٢٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

صاحبه؛ فَمَنْ ظَنَّ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنًّا سَوِّئاً، وَوَقَعَ فِيهَا نَهْيَ اللَّهِ عَنْهُ.

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنًّا سَوِّئاً بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ بِاللَّهِ غَيْرَ مَا يَلِيقُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَنَسَبَهُ إِلَى خِلَافِ مَا يَلِيقُ بِجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنًّا سَوِّئاً فِيَمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيَمَا يَفْعَلُهُ بغيرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَعَرَفَ مُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١): «لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ»^(٢).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَأَكْثَرُ الْخَلْقِ؛ بَلْ وَكُلُّهُمْ - إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ - يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ، وَظَنًّا سَوِّئاً؛ فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الْحَقِّ، نَاقِضُ الْحَظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أُعْطَاهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي، وَمَنْعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَسَّرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ.

وَمَنْ فَتَشَ نَفْسَهُ وَتَغَلَّغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دَفَائِنِهَا وَطَوَايَاهَا؛ رَأَى ذَلِكَ

(١) هو: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سَلِيمَانَ التَّمِيمِيِّ النَّجْدِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ (١١١٥هـ)، إِمَامٌ أَهْلُ الدَّعْوَةِ، مُجَدِّدُ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، تَوَفِّيَ سَنَةَ (١٢٠٦هـ). الدَّرَرُ السَّنِيَّةُ فِي الْأَجُوبَةِ النَّجْدِيَّةِ (١/٣٧٤)، تَسْهِيلُ السَّابِلَةِ (٣/١٦٤٣).

(٢) مَتُونُ طَالِبِ الْعِلْمِ، النُّسخَةُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِحَوَاشِي التَّحْقِيقِ، كِتَابُ التَّوْحِيدِ (ص ٣٩٦).

فِيهَا كَامِنًا كُفُونَ النَّارِ فِي الزَّنَادِ، فَأَفْدَحَ زِنَادَ مَنْ شِئْتَ يُنْبِتُكَ شَرَارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ.

وَلَوْ فَتَشْتِ مَنْ فَتَشْتَهُ؛ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعْتَبًا عَلَى الْقَدْرِ وَمَلَامَةً لَهُ،
وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا،
فَمُسْتَقِيلٌ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتَّشَ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ؟

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجُّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا
فَلْيَعْتَنِ اللَّيْبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
وَيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَلْيُظَنَّ السَّوِّءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي
هِيَ مَا أَوْى كُلَّ سُوءٍ وَمَنْعُ كُلِّ شَرٍّ»^(١).

فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَظُنَّ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَأَنْ يُحْسِنَ ظَنَّهُ
بِرَبِّهِ فِي كُلِّ شَأْنِهِ؛ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ
عَبْدِي بِي» متفق عليه^(٢).



(١) زاد المعاد (٣/٢١١).

(٢) رواه البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ، باب قول الله تعالى: ﴿رَبُّيُدْرِكُ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾، رقم (٧٥٠٥)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالذُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب فضل الذِّكْرِ وَالذُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، رقم (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الدُّعَاءُ

أَهْمِيَّةُ الدُّعَاءِ

الدُّعَاءُ سِمَةُ العُبُودِيَّةِ، وَرَوْضَةُ القَلْبِ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا، عِبَادَةٌ مَيْسُورَةٌ، مُطْلَقَةٌ غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ بِمَكَانٍ وَلَا زَمَانٍ وَلَا حَالٍ، هُوَ عَدُوُّ البَلَاءِ؛ يُدَافِعُهُ وَيُعَالِجُهُ، وَيَمْنَعُ نَزْوَلَهُ وَيَرْفَعُهُ، أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ؛ يَقُولُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: «إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الإِجَابَةِ؛ وَإِنَّمَا أَحْمِلُ هَمَّ الدُّعَاءِ، فَإِذَا أُلْهِمْتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الإِجَابَةَ مَعَهُ»^(١).

الدُّعَاءُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - يَكشِفُ البَلَايَا وَالْمَصَائِبَ، وَيَمْنَعُ وَقُوعَ العَذَابِ وَالهِلَاكِ، وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ؛ لَا شَيْءَ مِنَ الأَسْبَابِ أَنْفَعُ - وَلَا أَبْلَغُ - فِي حِصُولِ المَطْلُوبِ مِنْهُ، مَا اسْتُجْلِبَتِ النِّعْمُ وَلَا اسْتُدْفِعَتِ النِّقْمُ بِمِثْلِهِ، بِهِ تُفَرِّجُ الهُمُومُ وَتَزُولُ الغُموْمُ، كَفَاهُ شَرْفًا قُرْبُ اللَّهِ مِنْ عِبْدِهِ حَالَ الدُّعَاءِ؛ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَأَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ.

بِالدُّعَاءِ تَسْمُو النَّفْسُ وَتَعْلُو الهِمَمُ، وَيُقْطَعُ الطَّمَعُ عَمَّا فِي أَيْدِي الخَلْقِ، هُوَ سِهَامُ اللَّيْلِ يُطْلِقُهُ القَانِتُونَ، وَهُوَ حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَالْجَأُ إِلَى اللَّهِ فِي الطَّلَبِ وَالتَّحْصِيلِ، وَافزَعُ إِلَيْهِ وَحَدَهُ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّجَوُّعِ إِلَيْهِ وَالاِنْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالأَرْزَاقُ خَزَائِنٌ وَمِفَاتِيحُهَا

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٩٣/٨).

السُّؤَال، وَثِقْ بِأَنَّ خَزَائِنَ اللَّهِ مَلَأَى وَيَدِيهِ سَحَاءٌ^(١) اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا تَغِيضُهَا^(٢) نَفَقَةٌ.

فَادْعُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمَ، وَأَلْقِ نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَلِّمِ الْأَمْرَ كُلَّهُ إِلَيْهِ، وَاعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَمَا رُدَّ سَائِلُهُ، وَلَا خَابَ طَالِبُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالْخَلْقِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِالرَّبِّ؛ فَنِعْمَ الرَّزَّاقُ هُوَ.

وَمَنْ ظَنَّ بِرَبِّهِ خَيْرًا أَفَاضَ عَلَيْهِ جَزِيلَ خَيْرَاتِهِ، وَأَسْبَلَ عَلَيْهِ جَمِيلَ تَفَضُّلَاتِهِ، فَلَا زِمَ الطَّلَبَ فَالْمُعْطَى كَرِيمٌ، وَالكَاشِفُ قَدِيرٌ، وَلَا تَسْتَعْجَلِ الْإِجَابَةَ إِذَا دَعَوْتَ، وَلَا تَسْتَبِطْهَا إِذَا تَأَخَّرَتْ، وَمَنْ يُكْثِرُ قَرَعَ الْأَبْوَابِ يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ.

وَمَنْ حَلَّتْ بِهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ فَلَجَأَ إِلَى اللَّهِ؛ حَمَاهُ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَّ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، فَهَذَا يُونُسُ ﷺ أُلْقِيَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، وَبِالدُّعَاءِ نُبَذَ بِالْعَرَاءِ مِنْ غَيْرِ أَدَى.

بَدْعُوَّةٍ وَاحِدَةٍ أَغْرَقَ أَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعُهُمْ، وَأَنْجَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ نُوحًا ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبِحْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجِنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧-١٢٠].

(١) أي: دَائِمَةُ الْعَطَاءِ. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/٢٠٩).

(٢) أي: تَنْفُضُهَا. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/١٦٩).

وهلك فرعون بدعوة موسى ﷺ؛ قال سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

ووهب ما وهب سليمان ﷺ بغير حسابٍ بسؤال ربه الوهاب؛ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ * وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٥-٣٨].

وشفى الله أيوب ﷺ من مرضه بتضرُّعه؛ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وإذا تنعم الناس بطيبِ الفراش فارتفع أكفُّ الضراعة إلى المولى في دُجى الأسحار؛ فبدعوةٍ تتقلب الأحوال، فالعقيم يولد له، والسقيم يُشفى، والفقير يُرزق، والشقي يُسعد.



جَوَامِعُ الدُّعَاءِ

الدُّعَاءُ مشروعٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ويُشرَعُ للمسلمِ أن يدعو ربَّه بكلِّ شيءٍ ما لم يكن إثماً؛ ومن الأدعية التي يُستحبُّ للمسلم الإكثار منها:

١ - سؤالُ الله الإخلاص، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي صَالِحاً، واجْعَلْهُ لِرُؤُوسِ أَهْلِ بَيْتِي خَالِصاً، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئاً»^(١).

٢ - سؤالُ الله الهداية والسداد، قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قُلِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ» رواه مسلم^(٢).

٣ - الدُّعَاءُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فالله سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله الزيادة من العلم؛ فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

٤ - الدُّعَاءُ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قال أنس رضي الله عنه: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» متفق عليه^(٣).

وغير ذلك من الأدعية النبوية الجامعة.

(١) رواه أحمد في الزهد (ص ٩٧)، رقم (٦١٧).

(٢) كتاب الذكر والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاستغفار، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، رقم (٢٧٢٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الدَّعَوَاتِ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً»، رقم (٦٣٨٩)، ومسلم، كتاب الذكر والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاستغفار، باب فضل الدُّعَاءِ بِ«اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، رقم (٢٦٩٠).

الصَّدَقَةُ

فَضْلُ الصَّدَقَةِ

قَسَمَ اللَّهُ خَلْقَهُ إِلَى غَنِيِّ وَفَقِيرٍ، وَلَا تَتَمُّ مَصَالِحُهُمْ إِلَّا بِسَدِّ خَلَّةٍ^(١)
الفقير؛ فأوجبَ في فضول أموال الأغنياء ما يُسدُّ به عوزَ الفقراء.

والمؤمنُ السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ خَلْقِهِ وَمِنْ أَهْلِهِ، قَرِيبٌ مِنَ
الْجَنَّةِ بَعِيدٌ عَنِ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ خَلْقِهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ
النَّارِ، فَجُودُ الرَّجُلِ يُحْبِيهِ إِلَى أَضْدَادِهِ، وَيُخْلُهُ يُبْعِضُهُ إِلَى أَوْلَادِهِ.

وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ: مَنْ اتَّصَفَ بِمَقْتَضِيَاتِ صِفَاتِهِ - مِمَّا لَمْ
يَخْتَصَّ بِهِ الرَّبُّ ﷻ -، فَهُوَ سَبْحَانَهُ كَرِيمٌ يَحِبُّ الْكَرِيمَ مِنْ عِبَادِهِ، وَعَالِمٌ
يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ، وَرَحِيمٌ يَحِبُّ الرَّحَمَاءَ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْكَرِيمُ
الْمُتَصَدِّقُ يُعْطِيهِ الْكَرِيمُ مَا لَا يُعْطِي غَيْرَهُ؛ جَزَاءً لَهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ»^(٢).

وَمِنْ خَيْرِ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِ: الصَّدَقَةُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ
وَالْكُرْبَاتِ؛ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ذُكِرَ لِي أَنَّ الْأَعْمَالَ تَبَاهَى،
فَتَقُولُ الصَّدَقَةُ: أَنَا أَفْضَلُكُمْ»^(٣).

وَهَدَى النَّبِيُّ ﷺ: الْإِحْسَانَ وَالصَّدَقَةَ وَالسَّعْيَ فِي تَفْرِيجِ هُمُومِ
الْمُسْلِمِينَ.

(١) الْخَلَّةُ: الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ. الصَّحاح (١٦٨٧/٤).

(٢) الْوَابِلُ الصَّيْبُ (ص ٣٦).

(٣) رَوَاهُ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ الصَّدَقَةِ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ
(٩٥/٤)، رَقْمٌ (٢٤٣٣).

وأفضلُ الصَّدَقَةِ ما صَادَفَتْ حَاجَةً مِنَ الْمُتَصَدِّقِ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ دَائِمَةً مُسْتَمِرَّةً.

والبخيل محبوبٌ عن الإحسان، ممنوعٌ عن البرِّ، ممنوعٌ من الانشراح، ضيقُ الصِّدْرِ، صغيرُ النَّفْسِ، قليلُ الفرح، كثيرُ الهمِّ والغَمِّ والحزن، لا يكاد تُقضى له حاجة، ولا يُعانُ على مطلوب.

فتصدَّقْ في يومك - ولو بشيءٍ يسيرٍ -؛ فأفضلُ الصَّدَقَةِ جُهدُ المُقِلِّ، وفي صبيحةِ كلِّ يومٍ ينزلُ ملكان، **«فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْسِكًا تَلْفًا»** متفق عليه^(١).

والصَّدَقَةُ قَرْضٌ مُسْتَرَدٌّ مُضَاعَفٌ، قال ﷺ: **«مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ»** رواه مسلم^(٢)، وقال ﷺ: **«مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»** [البقرة: ٢٤٥]، فابذل للفقير بسخاءِ نَفْسٍ وَجُودِ يَدٍ، وَحُسْنِ ظَنٍّ بِاللَّهِ بِمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ وَالْمَالِ.



(١) رواه البخاري، كتاب الزَّكَاةِ، باب قول الله تعالى: **«فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى»** اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا مَالٍ خَلْفًا، رقم (١٤٤٢)، ومسلم، كتاب الزَّكَاةِ، باب في المنفق والممسك، رقم (١٠١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب البرِّ والصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، باب استحباب العفو والتَّوَضُّعِ، رقم (٢٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثَمَرَاتُ الصَّدَقَةِ

الصَّدَقَةُ تَفْدِي الْعَبْدَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ تَقْتَضِي هَلَاكَهُ، فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ تَفْدِيهِ مِنَ الْعَذَابِ.

ولهذا قال النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا خَطَبَ فِي النَّسَاءِ يَوْمَ الْعِيدِ: «يَا مَعْشَرَ النَّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ - وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ -؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» متفق عليه^(١)، وفي الصَّحِيحَيْنِ^(٢): «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وهي تُطْفِئُ شَوْمَ الْمَعْصِيَةِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِمَعَاذِ اللَّهِ^(٣): «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ» رواه التِّرْمِذِيُّ^(٤).

وَالصَّدَقَةُ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَتَدْفَعُ الْبَلَاءَ، وَتَحْفَظُ الْمَالَ وَتَجْلِبُ الرِّزْقَ، وَتُفْرِحُ الْقَلْبَ، وَتُوجِبُ الثِّقَةَ بِاللَّهِ وَحُسْنَ الظَّنِّ بِهِ، وَتُزَكِّي

(١) رواه البخاري، كتاب الزَّكَاةِ، باب الزَّكَاةِ عَلَى الْأَقَارِبِ، رَقْم (١٤٦٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمُسْلِمٌ، كِتَابِ الزَّكَاةِ، بَابِ فَضْلِ النِّفْقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ وَالْوَالِدِينَ، وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، رَقْم (١٠٠٠)، مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبَ - امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) رواه البخاري، كتاب الزَّكَاةِ، بَابِ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالْقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، رَقْم (١٤١٧)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابِ الزَّكَاةِ، بَابِ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، رَقْم (١٠١٦)، مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هُوَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَعَاذِ بْنِ جَبَلِ بْنِ عَمْرٍو الْخَزْرَجِيُّ الْأَنْصَارِيُّ، أَحَدُ السَّبْعِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا الْعَقَبَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ، تُوْفِيَ سَنَةَ (١٨هـ). الْاِسْتِيعَابُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ (٣/١٤٠٢).

(٤) أَبْوَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، رَقْم (٢٦١٦).

النَّفْسَ وَتُنْمِيهَا، وَتُحَبِّبُ الْعَبْدَ إِلَى رَبِّهِ، وَتَسْتُرُ عَلَيْهِ كُلَّ عَيْبٍ، وَتَزِيدُ فِي الْعُمْرِ، وَتَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهَا عَذَابَ الْقَبْرِ، وَتَكُونُ عَلَيْهِ ظِلًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَشْفَعُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ شِدَائِدَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَدْعُوهُ إِلَى سَائِرِ أَنْوَاعِ الْبِرِّ، فَلَا تَسْتَعْصِي عَلَيْهِ.

وهي وقايةٌ بين العبد وبين النَّارِ، والمُخْلِصِ الْمُسِرِّ بِهَا يَسْتَظِلُّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُدْعَى مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ» مَتَّقْ عَلَيْهِ (١).

وَالصَّدَقَةُ تَرْفَعُ الْبَلَاءَ وَتَنْفَرِجُ بِهَا الْكُرُوبَ بِإِذْنِ اللَّهِ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِلصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ وَدَفْعِ الْعَيْنِ وَشَرِّ الْحَاسِدِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا إِلَّا تَجَارِبُ الْأُمَمِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا لَكَفَى بِهِ، فَمَا يَكَادُ الْعَيْنُ وَالْحَسَدُ وَالْأَذَى يَتَسَلَّطُ عَلَى مُحْسِنٍ مُتَصَدِّقٍ، وَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَانَ مُعَامَلًا فِيهِ بِاللُّطْفِ وَالْمَعُونَةِ وَالتَّأْيِيدِ، وَكَانَتْ لَهُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ الْحَمِيدَةُ؛ فَالْمُحْسِنُ الْمُتَصَدِّقُ فِي خَفَارَةِ (٢) إِحْسَانِهِ وَصَدَقَتِهِ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ جُنَّةٌ وَاقِيَةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ» (٣).

ويقول أيضاً: «فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ - وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ أَوْ مِنْ ظَالِمٍ؛ بَلْ مِنْ كَافِرٍ -؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِهَا

(١) رواه البخاري، كتاب الصَّوْمِ، باب الرِّيَّانِ لِلصَّائِمِينَ، رقم (٣٦٦٦)، ومسلم، كتاب الزَّكَاةِ، باب مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ، رقم (١٠٢٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: دَمَةٌ. لسان العرب (٤/٢٥٣).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٢٤٢).

عَنْهُ أَنْواعاً مِنَ الْبَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ،
وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقَرَّبُونَ بِهِ؛ لِأَنََّّهُمْ جَرَّبُوهُ»^(١).

وَالْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انشَرَحَ لَهَا قَلْبُهُ، وَانْفَسَحَ بِهَا
صَدْرُهُ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا هَذِهِ الْفَائِدَةُ
وَحَدَهَا لَكَانَ الْعَبْدُ حَقِيقاً بِالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا، وَقَدْ قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]»^(٢).



(١) الوابل الصيب (ص ٣١).

(٢) الوابل الصيب (ص ٣٣).

لَا تَتَصَدَّقْ عَلَى الْفَقِيرِ لِيَدْعُوَ لَكَ

يَرْتَقِي الْعَبْدُ بِالصَّدَقَةِ إِذَا أَخْلَصَ فِيهَا لِلَّهِ، وَلَمْ يَرْجُ بِهَا نَوَالَ دَعْوَةِ مَكْرُوبٍ، أَوْ ثَنَاءً أَوْ طَلَبَ شُهْرَةٍ، أَوْ تَحْصِيلَ مَطْمَعٍ مِنْ زُخْرَفِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا تَصَدَّقْتَ عَلَى فَقِيرٍ فَلَا تَتَصَدَّقْ عَلَيْهِ لِأَجْلِ أَنْ يَدْعُوَ لَكَ؛ بَلْ أَنْفِقْ عَلَيْهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، لِتَكُونَ دَاخِلًا تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

قال شيخ الإسلام رحمته الله في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ * إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِبُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿[الإنسان: ٨-٩]: «وَمَنْ طَلَبَ مِنَ الْفُقَرَاءِ الدُّعَاءَ أَوْ الثَّنَاءَ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ؛ فَإِنَّ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ^(١): (مَنْ أَسَدَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْوهُ، فَإِنْ لَمْ تَحِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَتْوهُ).

وَلِهَذَا كَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها إِذَا أُرْسِلَتْ إِلَى قَوْمٍ بِهَدِيَّةٍ تَقُولُ لِلرَّسُولِ: (مَا قَالُوا لَكَ؟ - تَقُولُ مَا يَقُولُونَ -، يَقُولُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَفِيهِمْ بَارَكَ اللَّهُ؛ نَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٢).

(١) كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، رقم (١٦٧٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول لمن أهدى له، رقم (١٠٠٦٢).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (إِذَا أَعْطِيتَ الْمِسْكِينَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقُلْ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ)، أَرَادَ: أَنَّهُ إِذَا أَثَابَكَ بِالِدُّعَاءِ فَادْعُ لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ الدُّعَاءِ، حَتَّى لَا تَكُونَ اعْتَضْتَ^(١) مِنْهُ شَيْئاً^(٢).

وقال أيضاً: «وَمَنْ طَلَبَ مِنَ الْعِبَادِ الْعَوْضَ - ثَنَاءً أَوْ دُعَاءً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ - لَمْ يَكُنْ مُحْسِناً إِلَيْهِمْ لِلَّهِ»^(٣).

فبين شيخ الإسلام رحمته الله أَنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ أَجْلِ الدُّعَاءِ لَا يَدْخُلُ صَاحِبُهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]؛ فَالْمُسْلِمُ يَتَصَدَّقُ لِوَجْهِ اللَّهِ، وَمَا يَحْصُلُ بِهَا - مِنْ تَفْرِيجٍ لِلْكَرُوبِ وَإِزَالَةٍ لِلْهُمُومِ - فَهِيَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَارِ الصَّدَقَةِ لِوَجْهِ اللَّهِ.



(١) اغْتَاضَ: أَي: أَخَذَ الْعَوْضَ. الصَّحَاحُ (٣/١٠٩٣).

(٢) مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ (١١/١١٢).

(٣) مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ (١/٥٤).

طَاعَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ

لَا تَحْتَقِرْ أَيَّ عَمَلٍ

لَا تَحْتَقِرْ أَيَّ عَمَلٍ صَالِحٍ تَعْمَلُهُ وَلَوْ قَلَّ فِي عَيْنَيْكَ؛ فَقَدْ يَكُونُ سَبَبَ دُخُولِكَ الْجَنَّةِ، وَلَا تَسْتَصْغِرِ ارْتِكَابَ أَيِّ مَعْصِيَةٍ تَعْمَلُهَا؛ فَقَدْ تَكُونُ سَبَباً فِي دُخُولِكَ النَّارِ، فَاطْرُقْ جَمِيعَ أَبْوَابِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَلَا تَدْرِي أَيُّهَا يَكُونُ سَبَباً فِي سَعَادَتِكَ الْأَبَدِيَّةِ، فَقَدْ دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِإِزَالَةِ غُضْنِ شَجَرَةٍ فِي الطَّرِيقِ - كَمَا تَقَدَّمَ (١) -.

وَأَنْتِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - قَدْ تُلْقِي كَلِمَةً، أَوْ تُسَدِّي نَصِيحَةً لِأَحَدٍ؛ فَتَكُونُ سَبَباً فِي هِدَايَتِهِ، وَيَسْعَدُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَسْعَدُ بِهَا أَنْتِ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ.

فَلَا تَحْتَقِرْ عَمَلاً صَالِحاً - وَإِنْ صَغُرَ فِي عَيْنِكَ -؛ يَقُولُ ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» متفق عليه (٢)، وَكُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ فِي الْإِسْلَامِ فَهُوَ عَظِيمٌ؛ فَأَكْثِرْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ، وَاحْرَصْ عَلَى الْمُدَاوَمَةِ عَلَيْهَا - وَإِنْ قَلَّ الْعَمَلُ فِي نَوْعٍ مِنْهَا -؛ «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» متفق عليه (٣).

(١) (ص ٢٤).

(٢) سبق تخريجه (ص ٦٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الرِّفَاقِ، باب الفَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، رَقْم (٦٤٦٤)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، باب فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ، رَقْم (٧٨٣)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

واحدٌ جميع طُرُقِ العصيان؛ فلا تدري أَيُّهَا تَهْوِي بك في النيران، فبهرة دخلت امرأة النار، يقول ﷺ: «عُدَّتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتَهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتَهَا وَسَقَتَهَا إِذْ هِيَ حَبَسَتَهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ» متفق عليه^(١).

فاسلك طريق الكرم والمروءة، وحسن الخلق والبشاشة، وخدمة الآخرين، والصدق في الحديث، والوفاء بالوعد، وحسن المعاملة الماليّة، وكلّ بابٍ من أبواب الخير.

يقول ابن القيم رحمته الله: «وَصَاحِبُ التَّعَبُّدِ الْمُطْلَقِ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ فِي تَعَبُّدِ بَعِيْنِهِ يُؤَثِّرُهُ عَلَى غَيْرِهِ؛ بَلْ غَرَضُهُ تَتَّبِعُ مَرْضَاةَ اللَّهِ تَعَالَى أَيْنَ كَانَتْ، فَمَدَارُ تَعَبُّدِهِ عَلَيْهَا، فَهُوَ لَا يَزَالُ مُتَنَقِّلًا فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ؛ كُلَّمَا رُفِعَتْ لَهُ مَنَزِلَةٌ عَمِلَ عَلَى سَيْرِهِ إِلَيْهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا حَتَّى تُلُوْحَ لَهُ مَنَزِلَةٌ أُخْرَى، فَهَذَا دَأْبُهُ فِي السَّيْرِ حَتَّى يَنْتَهِيَ سَيْرُهُ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ الْعُلَمَاءَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الْعِبَادَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الْمُجَاهِدِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الدَّاكِرِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الْمُتَصَدِّقِينَ الْمُحْسِنِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ»^(٢).



(١) رواه البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم (٢٣٦٥)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة، رقم (٢٢٤٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) مدارج السالكين (١/١١١).

الدُّنْيَا مَرْعَةٌ الْآخِرَةُ

عُمْرُكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَحْصُورٌ، وَدَرَجَتُكَ فِي الْآخِرَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَعِيشُهَا، فَإِذَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ صَالِحاً كُنْتَ مِنَ السُّعْدَاءِ، وَإِذَا أَهْمَلْتَ نَفْسَكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَفَرَّطْتَ فِي سَاعَاتِكَ؛ نَدِمْتَ فِي الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ ﷻ ذَكَرَ أَنَّكَ مَرَهُونٌ فِي الْآخِرَةِ بِعَمَلِكَ فِي الدُّنْيَا؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]، وَقَالَ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

وَلَا تَعْلَمْ مَتَى يَزُورُكَ مَلَكُ الْمَوْتِ، وَإِذَا نَزَعَتْ رُوحَكَ فَإِنَّ أَقَارِبَكَ وَأَحْبَابَكَ وَمَنْ حَوْلَكَ - بَعْدَ دَفْنِكَ - فِي شُغْلٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَسَعْيٍ فِي الدُّنْيَا حَيْثُ؛ مِمَّا يَجْعَلُهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنِ الدُّعَاءِ لَكَ بَعْدَ مَوْتِكَ.

وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ بِالنِّسْيَانِ؛ فَأَنْتَ - مِثْلًا - لَا تَدْعُو لَوَالِدِ جَدِّكَ، وَهُوَ لَيْسَ بَعِيداً عَنْكَ، مَعَ أَنَّهُ سَبَبٌ فِي وَجُودِكَ فِي الْحَيَاةِ، وَسَيَأْتِي الزَّمَانُ الَّذِي يَنْسَى أَحْفَادَكَ - وَمَنْ دُونَهُمْ - الدُّعَاءَ لَكَ.

فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْكَ بَعْدَ مَوْتِكَ؛ فَأَكْثِرْ مِنْ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَاطْرُقْ كُلَّ بَابٍ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا؛ لَعَلَّ ذَلِكَ يُقَرِّبُكَ عِنْدَ رَبِّكَ فِي الْآخِرَةِ.



الإِكْتَارُ مِنَ الطَّاعَاتِ

ثمرَةُ العِلْمِ العَمَلُ، واللَّذَّةُ في الحياة بالإِكْتَارِ من عمل الصَّالِحَاتِ، وآيَةُ الإِخْلَاصِ: الإِكْتَارُ من الطَّاعَاتِ، وزيادة المنازل في الجَنَّةِ على قدر التَّزَوُّدِ من الفضائل.

وأَفْضَلُ البَشَرِ هم القُدُوةُ في الإِكْتَارِ من الطَّاعَاتِ؛ فإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَدَحَهُ اللهُ بِكثرة تَعَبُّدِهِ له؛ فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]، فوصَفَهُ بالقُنُوتِ؛ وهو: دوامُ الطَّاعَةِ.

وداود عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا» متفق عليه^(١).

وأثنى اللهُ على زَكَرِيَّا وزَوْجَتِهِ ويحيى بقوله: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى، وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا، وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكان العُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ يُكثِرُونَ من التَّعَبُّدِ لِلَّهِ؛ يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وَحَضَرْتُ شَيْخَ الإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ مَرَّةً؛ صَلَّى الفَجْرَ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى إِلَى قَرِيبٍ مِنْ انْتِصَافِ النَّهَارِ، ثُمَّ التَفَتَ، وَقَالَ: هَذِهِ

(١) رواه البخاري، أبواب التَّهَجُّدِ، باب مَنْ نام عند السَّحَرِ، رقم (١١٣١)، ومسلم، كتاب الصِّيَامِ، باب النَّهْيِ عن صوم الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ به، أو فَوَّتَ به حقًّا، رقم (١١٥٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

عَدَوْتِي، وَلَوْ لَمْ أَتَعَدَّ هَذَا الْغَدَاءَ لَسَقَطْتُ قُوَّتِي»^(١).

وقال شيخ الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نفسه: «إِنَّهُ لَيَقِفُ خَاطِرِي فِي الْمَسْأَلَةِ وَالشَّيْءِ أَوْ الْحَالَةِ الَّتِي تُشْكَلُ عَلَيَّ؛ فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى أَلْفَ مَرَّةٍ - أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ - حَتَّى يَنْشِرِحَ الصَّدْرُ، وَيَنْحَلَّ إِشْكَالُ مَا أُشْكَِلَ، - قَالَ - : وَأَكُونُ إِذْ ذَاكَ فِي السُّوقِ، أَوْ الْمَسْجِدِ، أَوْ الدَّرْبِ، أَوْ الْمَدْرَسَةِ، لَا يَمْنَعُنِي ذَلِكَ مِنَ الذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ إِلَى أَنْ أَنْالَ مَطْلُوبِي»^(٢).

وقال ابنُ كثيرٍ عن ابنِ القيمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُهَا جِدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلُومُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ؛ فَلَا يَرْجِعُ وَلَا يَنْزِعُ عَنِ ذَلِكَ»^(٣).

وَالطَّاعَةُ نَوْرٌ يُقَدَفُ فِي الصُّدُورِ، فَأَكْثَرُ مِنَ التَّعَبُّدِ لِلَّهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ؛ فَهِيَ نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى تَحْقِيقِ الْمُبْتَغَى، وَعَلَيْكَ الْإِكْتِسَابُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ، فَالْقَلْبُ إِذَا صَفَا أَثَّرَ، وَإِذَا تَكَدَّرَ أَضْرَّ.



(١) الوابل الصيب (ص ٤٢).

(٢) العقود الدرية في مناقب ابن تيمية (ص ٢١).

(٣) البداية والنهاية (١٨/٥٢٣).

مَا الْعِبَادَاتُ الَّتِي أَكْثَرُ مِنْهَا؟

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ هِيَ النَّوَافِلُ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنْتُهُ^(١) بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ» رواه البخاري^(٢).

ومن أفضل النوافل التي يفعلها العبد:

١ - قيام الليل:

نوافل الصلوات من أزكى الأعمال عند الله، وساعات الليل ثمينة، وقيامه من نعوت الصالحين المبشرين بجنة النعيم، وهو دليل على رجحان العقل والإيمان، وقربه إلى رب العالمين، يقول النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رواه ابن ماجه^(٣).

(١) أي: أعلمته. فتح الباري لابن حجر (١١/٣٤٢).

(٢) كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، رقم (٣٢٥١)، من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

وابن ماجه هو: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي بالولاء، القزويني، وُلد سنة (٢٠٩هـ)، وتوفي رحمته الله سنة (٢٧٣هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/١٥٥).

وَمِنْ مُحاسِنِ أَهْلِ الْإِيمَانِ: الْقِيَامُ لِلَّهِ فِي الظُّلَمِ ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وقد تنافس الصَّالِحُونَ صلاةً وتعبُدًا في ظلمائِهِ؛ فوجدوا بذلك لذةً في نفوسهم لا تُضاهيها لذات الدُّنيا؛ يقول أبو سليمان الدَّارانيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١): «وَاللَّهِ لَوْ لَا قِيَامُ اللَّيْلِ مَا أَحْبَبْتُ الدُّنْيَا»^(٢).

ولم يكن النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي سَفَرٍ أَوْ حَضَرٍ، وَكَانَ يُصَلِّيهِ قائماً وقاعداً وعلى راحِلَتِهِ في أسفاره، ولو إلى غير القِبْلَةِ^(٣).

وَكَانَ الصَّالِحُونَ يَعِيبُونَ عَلَى مَنْ تَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ؛ يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٤): «مَا تَرَكَ أَحَدٌ قِيَامَ اللَّيْلِ إِلَّا بِذَنْبٍ أَدْنَبَهُ»^(٥).

وذلك نابعٌ مِنْ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لعبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُما^(٦) حيث قال له: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ

(١) هو: أبو سليمان عبد الرَّحْمَنِ بن أحمد الدَّاراني، ولد سنة (١٤٠هـ)، وتوفي سنة (٢١٥هـ). سير أعلام النبلاء (١٠/١٨٢).

(٢) الزهد والرفائق للخطيب البغدادي (ص٩٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الوتر، باب الوتر في السَّفَر، رقم (١٠٠٠)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النَّافِلَةِ على الدَّابَّةِ في السَّفَر حيث توجَّهَتْ، رقم (٧٠٠)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما.

(٤) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البَصْرِيُّ، التَّابِعِيُّ الإمام، وُلِدَ سنة (٢١هـ)، وتوفي سنة (١١٠هـ). سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٣).

(٥) نزهة المجالس ومنتخب النفايس (١/١٢٠).

(٦) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نُفَيْلِ الْعَدَوِيِّ الْقُرَشِيِّ، وُلِدَ سنة (٣من البعثة)، وتوفي سنة (٧٣هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (٦/٢٩٠).

اللَّيْلِ؛ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا» متفق عليه^(١).

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه^(٢): «يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» متفق عليه^(٣).

ومن شرف العبودية: التَّعَبُّدُ لَيْلًا، وَالنَّفْسُ لَا تَشْرَفُ إِلَّا بَعْبُودِيَّتِهَا لِلَّهِ، وَلَا يَلِيقُ بِشَابِّ مُسْتَقِيمٍ أَنْ يَدَعَ قِيَامَ اللَّيْلِ - ولو نصف ساعة قُبَيْلَ الْفَجْرِ - يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ زَمَنَ فَتَحِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، وَلَمْ يَكُنِ السَّلْفُ يَدْعُونَ قِيَامَ السَّحَرِ؛ يَقُولُ طَاوُسٌ رضي الله عنه^(٤): «مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا يَنَامُ فِي السَّحَرِ»^(٥).

٢ - الإِكْتَارُ مِنَ الذِّكْرِ:

ذِكْرُ اللَّهِ مِيزَانُ الرَّفْعَةِ وَالتَّكْرِيمِ، وَهُوَ خَيْرٌ مَا يُعْطَرُ بِهِ اللِّسَانُ،

(١) رواه البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عبد الله بن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه، رقم (٣٧٣٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، رقم (٢٤٧٩).

(٢) هو: أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي، أسلم قبل أبيه، توفي ليالي الحرّة، في ولاية يزيد بن معاوية، سنة (٦٣هـ)، وقيل: سنة (٦٧هـ)، وقيل: غير ذلك. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٥٦/٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب التَّهَجُّدِ، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، رقم (١١٥٢)، ومسلم، كتاب الصَّيَامِ، باب النَّهْيِ عَنِ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أَوْ فُوتَ بِهِ حَقًّا، رقم (١١٥٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) هو: أبو عبد الرحمن طائوس بن كيسان الفارسي، ثم اليميني، الجندي، توفي سنة (١٠٦هـ). سير أعلام النبلاء (٤٩/٥).

(٥) مجموع رسائل ابن رجب (٤٢٠/٤).

وهو بابٌ مَفْتُوحٌ بين العبد وربِّه ما لم يُعْلِقْهُ العبدُ بِعُغْلَتِهِ؛ يقول ابن القَيِّم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّهُ - أَي: الذِّكْرُ - يُورِثُهُ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذِّكْرِ إِلَّا هَذِهِ وَحَدَّهَا؛ لَكَفَى بِهَا فَضْلاً وَشَرْفاً»^(١).

بالإكثار من الذِّكْرِ يَسْمُو العبدُ عند ربِّه، وَبِئْسَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ^(٢).

وبالذِّكْرُ سَعَادَةُ القَلْبِ، وَالْأُنْسُ بِاللَّهِ؛ يقول ابن القَيِّم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَقَالَ لِي مَرَّةً شَيْخُ الإِسْلَامِ: لَا أَتْرُكُ الذِّكْرَ إِلَّا بِنِيَّةِ إِجْمَامِ نَفْسِي وَإِرَاحَتِهَا لِأَسْتَعِدَّ بِتِلْكَ الرَّاحَةِ لِذِكْرِ آخَرَ»^(٣).

٣ - تِلَاوَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ:

الكتابُ العَزِيزُ عُمْدَةُ المِلَّةِ، وَيَنْبِغُ الحِكْمَةُ، وَآيَةُ الرِّسَالَةِ، وَنورُ الأَبْصَارِ وَالبَصَائِرِ، بِتِلَاوَتِهِ وَالعَمَلِ بِهِ يعلو الشَّانُ، وَيَعْلُو القَدْرُ، وَيَزِيدُ الإِيْمَانُ.

والقُرْآنُ العَظِيمُ أَصْلُ العِلْمِ وَأُسْهُبُهَا، وَمِنْهُ تُؤَخَذُ الأَخْلَاقُ وَالأَدَابُ، وَحِفْظُ كِتَابِ اللَّهِ حِفْظٌ للعَبْدِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنَ الشُّرُورِ وَالفِتَنِ، وَحِصْنٌ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ؛ فَاجْعَلْ تِلَاوَةَ القُرْآنِ عَلَى لِسَانِكَ مُتَدَبِّراً لَهَا بِقَلْبِكَ.

(١) الوابل الصيب (ص ٤٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب ذِكرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حالِ الجَنَابَةِ وَغيرِها، رَقْم (٣٧٣)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٣) الوابل الصيب (ص ٤٢).

٤ - صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ:

رَبُّنَا ﷺ مُتَّصِفٌ بِالشُّكْرِ، يُعْطِي عَلَى الْعَمَلِ الْيَسِيرِ الْأَجْرَ الْجَزِيلَ،
وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ؛ تَعْمَلُ قَلِيلًا فِي عُمُرٍ قَصِيرٍ وَتُجْزَى كَثِيرًا،
وَتَسْبِقُ الْأُمَّةَ فِي الْآخِرَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ كَصِيَامِ جَمِيعِ الشَّهْرِ،
كُلُّ يَوْمٍ بَعَشْرَةَ أَيَّامٍ؛ كَرَمًا مِنَ اللَّهِ وَمِنَّةً، وَصِيَامُهَا هِيَ وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ
لَأَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)؛ يَقُولُ أَبُو هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ
بِثَلَاثٍ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ
أَنْ أَرْقُدَ» متفق عليه^(٢).



(١) هو: أبو هريرة عبد الرحمن بن عامر بن عبد ذي الشري الدؤسي، إسلامه بين الحديبية وخيبر، توفي سنة (٥٧هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (٧/٣٤٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب صلاة الضحى في الحضر، رقم (١١٧٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظة عليها، رقم (٧٢١).

شُكْرُ اللَّهِ

أَهْمِيَّةُ الشُّكْرِ

رَبُّكَ أَغْدَقَ عَلَيْكَ مِنْ نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ، وَأَجْزَلَ عَلَيْكَ مِنْ عَطَايَاهِ الْجَسِيمَةِ؛ لِتَشْكُرَهُ عَلَيْهَا، وَالشُّكْرُ هُوَ الْغَايَةُ مِنْ خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ؛ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وَأَخْبَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَشْكُرْهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ عِبَادَتِهِ؛ ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وَقَدْ أَتَنَى اللَّهُ عَلَى أَوَّلِ رَسُولٍ بَعَثَهُ إِلَى الْأَرْضِ بِالشُّكْرِ؛ فَقَالَ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وَأَمَرَ عَبْدَهُ مُوسَى عليه السلام أَنْ يَتَلَقَّى مَا آتَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالتَّكْلِيمِ بِالشُّكْرِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وَأَتَنَى عَلَى خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ بِشُكْرِ نِعَمِهِ؛ فَقَالَ عَنْهُ: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٣].

وَأَمَرَ اللَّهُ بِهِ آلَ دَاوُدَ؛ فَقَالَ: ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا عليه السلام بِالشُّكْرِ؛ فَقَالَ لَهُ: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

وَأَوَّلُ وَصِيَّةٍ وَصَّى بِهَا اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ: الشُّكْرُ لَهُ وَلِلْوَالِدَيْنِ؛
فَقَالَ: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

وبالشُّكْرُ أَمَرَ الْأَنْبِيَاءُ أَقْوَامَهُمْ؛ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ
اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وَأَفْضَلُ الْأَدْعِيَةِ: دُعَاءُ الرَّبِّ الْعَوْنُ عَلَى مَرْضَاتِهِ بِشُكْرِ نِعَمِهِ
وَعِبَادَتِهِ؛ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ؛ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ
الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]»^(١).

وَلَمَّا عَرَفَ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ قَدْرَ مَقَامِ الشُّكْرِ، وَأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ
الْعِبَادَاتِ وَأَعْلَاهَا؛ جَعَلَ غَايَتَهُ السَّعْيَ فِي قَطْعِ النَّاسِ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ
لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

وَالشَّاكِرُونَ هُمْ قَلَّةٌ فِي الْخَلْقِ؛ فَكُنْ مَعَ تِلْكَ الثُّلَّةِ الْقَلِيلَةِ
الْمُبَارَكَةِ، قَالَ ﷺ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

وَكُلُّ نِعْمَةٍ لَا تُقَرَّبُ مِنَ اللَّهِ فَهِيَ بَلِيَّةٌ، قَالَ الْفُضَيْلُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَلَيْكُمْ
بِمُلَازِمَةِ الشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ؛ فَقَلَّ نِعْمَةٌ زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ»^(٢)؛
فَإِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ يُوَالِي عَلَيْكَ نِعَمَهُ - وَأَنْتَ تَعْصِيهِ - فَاحْذَرِهِ.

(١) مدارج السالكين (١/١٠٠).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/٤٤٦).

والعبد إذا كانت له عند الله منزلة فحفظها وبقي عليها، ثم شكر الله على ما أعطاه؛ آتاه الله أشرف منها، وإذا ضيَّع الشكر استدرجه الله.

والنَّعْمَةُ مَوْصُولَةٌ بالشُّكْرِ، والمَزِيدُ يَتَعَلَّقُ بالشُّكْرِ، وَمَنْ رُزِقَ الشُّكْرَ رَزَقَهُ اللهُ الزِّيَادَةَ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وَبِشُّكْرِ اللهِ وَطَاعَتِهِ تَتَفَتَّحُ لِلْعَبْدِ أَبْوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].



كَيْفَ أَشْكُرُ نِعْمَ اللَّهِ؟

الشُّكْرُ يَكُونُ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ وَجَوَارِحِكَ؛ فَشُكْرُ النِّعَمِ بِالْقَلْبِ: يَكُونُ بِنِسْبَتِهَا إِلَى بَارئِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وَشُكْرُهَا بِاللِّسَانِ: يَكُونُ بِالْإِكْتِثَارِ مِنَ الْحَمْدِ لِمُسَدِّدِهَا سُبْحَانَهُ، فَالْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ وَأَوَّلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ مَا تَحَرَّكَ بِهِ اللِّسَانُ؛ قَالَ ﷺ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

وَشُكْرُهَا بِالْجَوَارِحِ: يَكُونُ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَمَنْعِ اسْتِخْدَامِهَا فِي مَسَاخِطِهِ وَمَعَاصِيهِ، وَأَسْعَدُ الْخَلْقِ مَنْ جَعَلَ النِّعَمَ وَسَائِلَ إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ، وَأَشْقَاهُمْ مَنْ تَوَصَّلَ بِنِعْمِ اللَّهِ إِلَى هَوَاهُ وَنَيْلِ مِلْدَاتِهِ.

وَكُنْ قَنُوعًا بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ شُكْرَ نِعْمِ اللَّهِ عِبَادَةٌ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ، قَالَ ﷺ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ مِثْلُ الصَّائِمِ الصَّابِرِ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ (٢).



(١) كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
 (٢) في المستدرک، کتاب الأُطعمة (٤/١٥١)، رقم (٧١٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
 والحاكم هو: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، النيسابوري، الشافعي، ولد سنة (٣٢١هـ)، وتوفي سنة (٤٠٥هـ). طبقات الفقهاء الشافعية (١/١٩٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٢).

ذِكْرُ اللَّهِ

أَهْمِيَّةُ الذِّكْرِ

الذِّكْرُ يَجْلِبُ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالرِّزْقَ وَالْمَهَابَةَ، وَيُوجِبُ مُرَاقِبَةَ اللَّهِ، وَكَثْرَةَ عِبَادَتِهِ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَالقُرْبَ مِنْهُ، وَهُوَ شِفَاءٌ لِمَا يَرِدُ مِنْ أَدْوَاءٍ؛ يَقُولُ ابْنُ عَوْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١): «ذَكَرُ اللَّهِ دَوَاءٌ، وَذَكَرُ النَّاسِ دَاءٌ» (٢)، وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: «أَشْتَكِي فَسَوْءَ قَلْبِي، فَقَالَ: أَذِيبُهُ بِالذِّكْرِ» (٣).

وبالذِّكْرُ تُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ وَتُغْفَرُ السَّيِّئَاتُ، وَتُسْتَدْفَعُ الْآفَاتُ، وَتُسْتَكْشَفُ الْكُرْبَاتُ، وَتَهْوَنُ بِهِ عَلَى الْمُصَابِ الْمُلِمَّاتِ، بِهِ انْشِرَاحُ الصِّدْرِ وَطَمَآنِينَةُ الْقَلْبِ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وهُوَ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُوصِيَهُ؛ «لَا يَزَالُ لِسَانَكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» رواه التِّرْمِذِيُّ (٤).

بِذِكْرِ اللَّهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» رواه الْبُخَارِيُّ (٥).

وَمَنْ عَرَفَ عِظَمَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، وَالْإِكْتِثَارُ عِلَامَةُ الصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ.



(١) هو: أبو عون عبد الله بن عون بن أرتبان المُرَنْبِيُّ مَوْلَاهُمُ الْبَصْرِيُّ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٦٦هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (١٥١هـ). سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ (٦/٣٦٤).

(٢) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (٤/١٠١). (٣) رَوْضَةُ الْمُحِبِّينِ (ص ١٦٧).

(٤) أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الذِّكْرِ، رَقْمُ (٣٣٧٥)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ، رَقْمُ (٦٤٠٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَفْضَلُ الذِّكْرِ

أفضلُ الذِّكْرِ قراءةُ القرآنِ الكريمِ، وقد جاءتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ ببيانِ أذكارٍ مُتَنَوِّعةٍ؛ ومن أفضلِ تلكِ الأذكارِ ما يلي:

«أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» رواه مسلم^(١).

و«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ: كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» متفق عليه^(٢).

و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» رواه الترمذي^(٣).

و«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه^(٤).

(١) كتاب الآداب، باب كراهة التَّسْمِيَةِ بالأسماءِ القَبِيحَةِ وبنافع ونحوه، رقم (٢١٣٧)، من حديث سُمْرَةَ بن جندب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الدَّعَوَاتِ، باب قول: لا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، رقم (٦٤٠٩)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاستِغْفَارِ، باب استحبابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، رقم (٢٧٠٤)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أبواب الدَّعَوَاتِ، باب، رقم (٣٤٦٤)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنُّدُورِ، باب إذا قال: واللَّهِ لا أتكلَّمُ اليومَ فصلَّى أو قرأ أو سَبَّحَ أو كَبَّرَ، رقم (٦٦٨٢)، ومسلم، كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاستِغْفَارِ، باب فضل التَّهْلِيلِ والتَّسْبِيحِ والدُّعَاءِ، رقم (٢٦٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ: تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» رواه مسلم^(١).

وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه^(٢) قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» رواه مسلم^(٣).



(١) كتاب الطَّهارة، باب فضل الوضوء، رقم (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
 (٢) هو: سعد بن أبي وقاصٍ - واسم أبي وقاصٍ: مالك - بن أُمِّ هَيْبِ الزُّهْرِيِّ الْقُرَشِيِّ، كان سابع سبعة في الإسلام، وهو أحد السُّنَّةِ الَّذِينَ جَعَلَ عُمَرُ رضي الله عنه فِيهِمُ الشُّورَى، توفي سنة (٥٤هـ)، وقيل: سنة (٥٥هـ)، وقيل: غير ذلك. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٦٠٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٦٢).
 (٣) كتاب الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب فضل التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، رقم (٢٦٩٨).

الاستغفار

الاستغفار سببٌ لغُفرانِ الذُّنُوبِ، ودُخُولِ الجَنَّاتِ، ودَفْعِ البلاءِ، وزيادةِ الأموالِ والبُنيِنِ؛ قال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وهو سببٌ للحياةِ السَّعيدةِ ووفورِ الخيراتِ؛ قال ﷺ: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

وبه تزيدُ القوَّةُ؛ قال هودٌ لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وهو سببٌ لنزولِ الرَّحمةِ مِنَ السَّمَاءِ؛ قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُومِ لِمَ اسْتَعَجَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا نَسْتَعْفِرُونَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

والاستغفارُ مُزيلٌ للخُطايا وشُومِ العُصيانِ؛ يقول قتادة رضي الله عنه^(١): «إِنَّ

(١) هو: أبو الخطاب قتادة بن دَعَامَةَ بن قَتَادَةَ السَّدُوسِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (٦٠هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (١١٨هـ). سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٥/٢٦٩)، تَقْرِيبَ التَّهْذِيبِ (١/٤٥٣).

هَذَا الْقُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، فَأَمَّا دَاؤُكُمْ: فَالذُّنُوبُ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ: فَالِاسْتِغْفَارُ»^(١).

وكان النَّبِيُّ ﷺ يُكثِرُ من الاستغفار؛ قال عليه السلام: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي»^(٢)، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ» رواه مسلم^(٣).

قال أبو المنهال رضي الله عنه^(٤): «مَا جَاوَرَ عَبْدٌ فِي قَبْرِهِ مِنْ جَارٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ»^(٥).

فَأَكْثِرْ من الاستغفار في كلِّ حينٍ؛ يَصْلُحْ لك أمرُ دينِكَ ودنياك.



(١) جامع العلوم والحكم (٢/٤١٥).

(٢) أي: يلبس عليه ويُعطَى. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/١٤٢).

(٣) كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاسْتِغْفَارِ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم (٢٧٠٢)، من حديث الأغرِّ المُرَنِّيِّ رضي الله عنه.

(٤) هو: عبد الرَّحْمَنِ بن مُطْعِمِ البُنَّانِيِّ البَصْرِيِّ المَكِّيِّ، توفي سنة (١٠٦هـ). تقريب التهذيب (ص ٣٥٠).

(٥) جامع العلوم والحكم (٢/٤١٥).

إِصْلَاحُ الْقَلْبِ

اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي

القلبُ يَتَقَلَّبُ في هذه الحياة بين القَسْوَةِ واللِّينِ، فإذا تَوَارَدَتْ عليه المعاصي فَسَا، وإذا أكثر العبد من الطَّاعات رَقَّ الفؤاد.

وللخطايا تأثيراتٌ فَيِيحَةٌ إِنَّ أَسْرَعَتْ، وإن اجْتَمَعَتْ آذَتْ، فَشَرَارَةٌ رُبَّمَا أَحْرَقَتْ بلدًا، والخطايا مُطَوَّقَةٌ في أعناقِ الرِّجالِ، والهلاكُ في الإصرار عليها، وبالمعاصي تَزُولُ النِّعمُ، وتَحُلُّ النِّقَمُ، وبالمعصية تَتَعَسَّرُ الأمور على العاصي؛ فما يَتَوَجَّه لَأَمْرٍ إِلَّا وَيَجِدُهُ مُغْلَقًا دُونَهُ، أو مُتَعَسِّرًا عليه تحقيقه.

والمعصيةُ تَمَحِّقُ بركةَ العُمُرِ، والذي يفوت بارتكاب المعصية من خيري الدنيا والآخرة أضعاف ما يحصل للعبد من السُّرورِ واللَّذَّةِ بها، وعقوبة الذَّنْبِ تَحُلُّ - ولو بعد حينٍ -؛ قال ﷺ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقد أَهْبِطَ إبليسُ من منزل العِزِّ بتركِ سجدةٍ واحدةٍ أمر بها؛ قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٢-١٣].

وأُخْرِجَ آدَمُ من الجَنَّةِ بأكلِهِ تناولها؛ قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ * فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٥-٣٦].

و«دَخَلَتْ امْرَأَةً النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا»^(١)، و«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجْرُ إِزَارَهُ إِذْ حُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ»^(٢) فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وهكذا الذنوب تُورِدُ المَهَالِك؛ فكنْ خائفاً من ذنبك، ولا تَأْمَنِ العقوبة؛ فَإِنَّ هَوَانَ الذَّنْبِ عَلَى العاصي من علامة الهلاك، وكلِّمَا صَغُرَ الذَّنْبُ فِي عَيْنِ العبدِ عَظُمَ عِنْدَ اللَّهِ.

فإيَّاكَ ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهِنَّ إِذَا اجْتَمَعْنَ عَلَى الرَّجُلِ أَهْلَكْنَهُ؛ يقول النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّمَا مِثْلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَاِدٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَهُمْ» رواه أحمد^(٤).

والذَّنْبُ يَعْظُمُ وَيَحْدُقُ خَطْرُهُ إِذَا جَاهَرَ بِهِ العبدُ، أَوْ اسْتَصْغَرَهُ، أَوْ فَرِحَ بِهِ، أَوْ تَهَاوَنَ بِسِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ، يقول أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ» رواه البخاري^(٥).

ولمَّا نَزَلَ المَوْتُ بِمُحَمَّدٍ بنِ المُنْكَدِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٦) بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: «مَا

(١) رواه البخاري، كتاب الشُّرْبِ والمساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم (٢٣٦٥)، ومسلم، كتاب البرِّ والصَّلَةِ والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يُؤْذِي، رقم (٢٢٤٢)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أي: يَغُوصُ فِي الأَرْضِ حِينَ يُحْسَفُ بِهِ، وَالجَلْجَلَةُ: حَرَكَةٌ مَعَ صَوْتٍ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ والأثر (١/٢٨٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٨٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) فِي المَسْنَدِ، رِقْم (٢٢٨٠٨)، مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يَتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، رِقْم (٦٤٩٢).

(٦) هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ المُنْكَدِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ القُرَشِيُّ، وَلِدَ سَنَةَ (بِضْعِ وَ٣٠ هـ)، تُوْفِيَ سَنَةَ (١٣٠ هـ). سِيرُ أَعْلَامِ النِّبَلَاءِ (٥/٣٥٣).

يُبَكِّيكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَبْكِي لِذَنْبٍ لَدَنْبٍ أَعْلَمُ أَنِّي أَتَيْتُهُ؛ وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا حَسِبْتُهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ»^(١).

والذَّنْبُ لا يَقْتَصِرُ على ارتكاب المناهي فحَسْبُ؛ بل إنَّ التَّقْصِيرَ في أداء الواجب من جملة المآثم؛ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ يَكُونُ مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَالْأَوَّلُ يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ»^(٢).



(١) إحياء علوم الدين (٤/٤٨١).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/٦٧٠).

الْبُعْدُ عَنِ الْفِتَنِ

جاء الإسلام بالأمر بصفاء المعتقد ونقاء القلب وتطهيره من أدران القوادح، ونهى عن تلويث القلب بالشبهات، أو تدنيسه بالشهوات، وفي زمن البعد عن مشكاة النبوة تزداد الحاجة إلى التمسك بينابيع الدين؛ يقول ﷺ: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**» رواه البخاري^(١).

ومن آثار الفتن: أن من اشْرأب^(٢) إليها بعنقه أصابه من لوثتها؛ يقول النبي ﷺ عن الفتن: «**وَمَنْ اسْتَشْرَفَ - أَي: تَطَّلَعَ - إِلَيْهَا؛ أَخَذَتْهُ**» رواه البخاري^(٣).

والإسلام الحنيف جاء بلزوم النورين؛ الكتاب والسنة، ونهى عن ضدهما مما يورث القلب الفساد.

والشبهة إذا وردت على القلب ثقل استئصالها، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «**وَإِذَا تَعَرَّضَ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ إِلَى الْبَلَاءِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ**»^(٤).

(١) كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم (٧٠٦٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أي: رقع. لسان العرب (٤٩٣/١).

(٣) كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، رقم (٧٠٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥٧٧/١٠).

والتَّقْصِيرُ فِي أداء الواجبات، واللَّهْتُ وراء المنكرات، والاعتمادُ في السُّلُوكِ عَلَى الفُضَائِيَّاتِ؛ يُورِثُ المَهَالِكِ.

والقلبُ إِذَا أَظْلَمَ بِكثرةِ المعاصي ثَقُلَ عَلَيْهِ أداءُ المعروفِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ قَبُولَ المنكرِ، وَفِي زمنِ تنزُّلِ الوحيِ وَمِلازِمَةِ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ كَانَ ﷺ يَخْشَى عَلَيْهِمِ مِنَ الفِتَنِ؛ فَلَمَّا رَأَى مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قِطْعَةً مِنَ التَّوْرَةِ تَلَوْنَ وَجْهَهُ ﷺ، وَقَالَ: «أُمَّتَهُوْكَونَ^(١) فِيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فِتْنَتِهِمْ بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» رَوَاهُ أَحْمَدُ^(٢).

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ طَلَبَ إِصْلَاحَ القلبِ؛ رَامَ مُمْتَنِعًا، وَرُبَّ عَثْرَةٍ أَهْلَكَتْ، وَرُبَّ فَارِطٍ لَا يُسْتَدْرِكُ، وَالنَّفْسُ طَامِعَةٌ إِذَا أَطْمَعَتْهَا؛ فَالْجَمُّهَا بِلِجَامِ الأوامرِ وَالتَّوَاهِي، وَمَنْ صَابَرَ الهَوَى أَيْنَعَتْ لَهُ الثَّمَرَاتِ.

فابْتَعِدْ عَنِ أسبابِ الفِتَنِ وَمَوَارِدِهَا؛ فَإِنَّ قُرْبَهَا مِحْنَةٌ لَا يَكَادُ صَاحِبُهَا يَسْلَمُ، وَمَنْ حَامَ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَحَصَّنْ نَفْسَكَ بِزَادِ العِلْمِ، وَانْتَقِ صُحْبَةَ الأَخْيَارِ، وَاسْلُكْ مَسْلِكَ الحَقِّ، وَانْهَجْ مِنْهَجَ الرُّشْدِ، وَاجْتَهِدْ فِي المُحَافَظَةِ عَلَى عَقِيدَتِكَ.

(١) أَي: أُمَّتَحِيرُونَ. غَرِيبُ الحَدِيثِ لِابْنِ الجَوْزِيِّ (٥٠٤/٢).

(٢) فِي المَسْنَدِ، رَقْم (١٥١٥٦)، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

وقد كان العلماءُ يُوصِي بعضُهم بعضاً بالبُعدِ عن مواطنِ الفِتنِ،
يقول ابن القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «جَيْشُ شَهَوَاتِ الْغَيِّ، وَجَيْشُ شُبُهَاتِ الْبَاطِلِ،
أَيُّمَا قَلْبٍ صَغَى إِلَيْهَا وَرَكَنَ إِلَيْهَا؛ تَشْرَبَهَا وَامْتَلَأَ بِهَا؛ فَيَنْضَحُ لِسَانَهُ
وَجَوَارِحُهُ بِمُوجِبِهَا، فَإِنْ أَشْرَبَ شُبُهَاتِ الْبَاطِلِ تَفَجَّرَتْ عَلَى لِسَانِهِ
الشُّكُوكُ وَالشُّبُهَاتُ وَالْإِيرَادَاتُ»^(١).



(١) مفتاح دار السعادة (١/١٤٠).

تَذَكُّرُ الْمَوْتِ وَزِيَارَةُ الْمَقَابِرِ

على العاقل أن يذكّر الموت في كلِّ يومٍ وليلةٍ مراراً ذكراً يُباشِرُ به قلبه؛ ليقارع أطماعه، فإنَّ في كثرةِ ذكر الموتِ عِصْمَةً من الكِبَرِ، وأماناً - بإذن الله - من الهَلَعِ، ومَصْرَعٍ غيرِك يُريك مَصْرَعَك.

وكان النَّبِيُّ ﷺ يُكثِرُ من زيارة المقابر ليلاً ونهاراً، وكان إذا كان يومُ عائشةَ رضي الله عنها يزورُ البقيع؛ تقول عائشةُ رضي الله عنها: «كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ» رواه مسلم ^(١).

وزيارتها تَشْحَدُ الهِمَمَ إلى الآخرة، وتَغُضُّ الطَّرْفَ عن الدُّنْيَا؛ يقول عليه السلام: «زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ» رواه ابن ماجه ^(٢).

فاجعل الموتَ بين ناظرَيْكَ تَصْلُحُ أحوالُكَ، وزُرِ المقابرَ يَحْيِي قلبُكَ.



(١) كتاب الجنائز، باب ما يُقالُ عند دخول القبور والدُّعاء لأهلها، رقم (٩٧٤).

(٢) كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم (١٥٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ،
وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ

بِرُّ الوَالِدَيْنِ

جَعَلَ اللهُ الوَالِدَيْنِ مَوْئِلَ السَّعَادَةِ، وَرَوْضَةَ العُطْفِ وَالْحَنَانِ، فَحَقُّهُمَا عَظِيمٌ وَمَعْرُوفُهُمَا لَا يُجَازَى، وَجَمِيلُهُمَا يَرْبُو عَلَى كُلِّ جَمِيلٍ مِنَ الخَلْقِ، وَليْسَ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ إِحْسَانًا - وَلَا أَكْثَرُ فَضْلًا - مِنَ الوَالِدَيْنِ.

بِرُّ الوَالِدَيْنِ خُلِقَ الْأَنْبِيَاءُ، وَدَأْبُ^(١) الصَّالِحِينَ، وَسَبَبُ تَفْرِيجِ الكُرْبَاتِ، وَتَنْزِيلِ الْبَرَكَاتِ، وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ؛ بِهِ يَنْشَرِحُ الصَّدْرُ، وَتَطْيِبُ الحَيَاةُ؛ قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ نَبِيِّهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]، وَقَالَ عَنِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

بِرُّ الوَالِدَيْنِ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ، وَدَلِيلُ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ، وَهُوَ طَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ^(٢).

حَقُّهُمَا وَاجِبٌ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

(١) أي: عَادَةٌ. الصَّحاح (١/١٢٣).

(٢) كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ مِنَ الْفَضْلِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، رَقْمٌ (١٩٠٠)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِرُّهُمَا عَمَلٌ مُحَبَّبٌ إِلَى اللَّهِ وَأَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛
 يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟
 قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ
 أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» متفق عليه (١).

بِرُّهُمَا سَلُوكٌ لَطِيفٌ الْجَنَّةِ؛ يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفٌ (٢)، ثُمَّ
 رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبُوهُ عِنْدَ الْكِبَرِ - أَحَدَهُمَا أَوْ
 كِلَيْهِمَا - فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» رواه مسلم (٣).



-
- (١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم (٥٢٧)، ومسلم،
 كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (٨٥).
 (٢) أي: ألصقه بالتراب، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانتقاد على كُرهه. النهاية
 في غريب الحديث والأثر (٢/٢٣٨).
 (٣) كتاب البرِّ والصلَّة والآداب، باب رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبُوهُ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، فلم
 يدخل الجنة، رقم (٢٥٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَمَلٌ وَالِدَيْكَ

أَمَلٌ وَالِدَيْكَ أَنْ تَكُونَ مَمَّنْ سِيرَتُهُمْ فَاضِلَةٌ وَأَخْلَاقُهُمْ سَامِيَةٌ، مَعَ صِحَّةِ الْإِسْتِقَامَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ خَسَائِسِ الْأَعْمَالِ وَرِذَائِلِ الْأَفْعَالِ، وَأَنْ لَا تَقَعَ فَرِيسَةً لِلانْحِرَافِ، أَوْ أُسِيرًا لِلْمَلَذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، أَوْ مَطِيَّةً لِلْجَهْلِ وَالْهَوَى.

فَلَا تُضَيِّعْ أَمْلَكَ وَأَمْلَهُمْ فِيكَ أَمَامَ لِحْظَةٍ مِنْ شَهْوَةٍ، أَوْ سَاعَةٍ مِنْ غَفْلَةٍ، وَعَلَيْكَ بِانْتِقَاءِ الْأَصْحَابِ وَالْمُؤَانِسَةِ؛ فَالنَّفْسُ إِنْ تُرِكَتْ وَهَوَاهَا ضَلَّتْ وَأَضَلَّتْ، وَإِنْ هُذِّبَتْ اِكْتَسَبَتْ حُسْنَ الْإِسْتِقَامَةِ، وَلُطْفَ الشَّمَائِلِ، وَجَمِيلَ الْأَخْلَاقِ.

وَمَنْ لَمْ يَضْبِطْ نَفْسَهُ عَنِ مُقَارَفَةِ الْمَلَاذِّ وَالرُّكُونِ إِلَى الْمُشْتَبَهَاتِ؛ فَقَدْ دَخَلَ فِي الْغَفْلَةِ، وَخَرَمَ مُرُوءَتَهُ، وَأَضَاعَ نَفْسَهُ، وَسَقَطَ مِنْ عَيُونِ النَّاسِ، وَقَتَلَ أَمَلَ غَيْرِهِ - مِنْ وَالِدَيْنِ وَأَقَارِبٍ - فِيهِ.



صِلَةُ الْأَرْحَامِ

مِنْ أَجْلِ الْقُرْبَاتِ عِنْدَ اللَّهِ وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ: صِلَةُ الرَّحِمِ، وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ أَنْ جَعَلَ صِلَةَ الرَّحِمِ بَرَكَةً فِي الْوَقْتِ وَزِيَادَةً فِي رِزْقِ الْعَبْدِ؛ يَقُولُ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ^(١)؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه^(٢).

وواجبٌ على المسلم أن يكون واصلاً ومُواصلًا لرحمِهِ، ومِنْ الأفضَل أن يُحدِّد يوماً معلوماً في الأسبوع لزيارة أقاربه، ويتبادل معهم أطرافَ الأحاديث؛ فإنَّ في ذلك سَلامَةً للقلب.

وَصِلَةُ الرَّحِمِ لَا تَشْغَلُ عَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ أَوْ الدَّعْوَةِ أَوْ نَفْعِ النَّاسِ؛ فزيارتهم هي بركةُ العمر، ومن أراد زيادةَ البركةِ في حياته فليكثر من صِلَةِ رَحِمِهِ؛ قال ابنُ التَّيْنِ رَحِمَهُ ﷺ^(٣): «صِلَةُ الرَّحِمِ تَكُونُ سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ فِي الطَّاعَةِ وَالصِّيَانَةِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَيَبْقَى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ»^(٤).

(١) أي: يُؤَخَّر له في أَجَلِهِ. شرح البخاري لابن بطال (٢٠٤/٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب مَنْ أَحَبَّ السِّطَّ فِي الرِّزْقِ، رقم (٢٠٦٧)، ومسلم، كتاب البرِّ والصِّلَةِ والآداب، باب صِلَةِ الرَّحِمِ وتحريم قطعها، رقم (٢٥٥٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هو: أبو مُحَمَّد عبد الواحد بن التَّيْنِ الصَّفَاقِسِيُّ، توفي سنة (٦١١هـ). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٢٤٢/١).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٤١٦/١٠).

والمُسلِّمُ لا يَسْتَكْثِرُ ذلكَ عليهم؛ فَرَحِمُ الإنسانِ هم أَوْلَى النَّاسِ
بالرَّعاية، وأَحَقُّهُمْ بالعِناية، وأَجْدَرُهُم بالإكرام والحِماية؛ يقول ﷺ:
﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
[الأنفال: ٧٥].

صِلَّةُ الرَّحِمِ توفيقٌ في الحياة وإثراءٌ للمال، يَكْتُبُ اللَّهُ بها العِزَّةَ،
وصِلَّتُهُم عبادةٌ جَليلةٌ من أفضلِ العبادات؛ يقول عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١):
«مَا مِنْ خَطْوَةٍ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ خَطْوَةٍ إِلَى ذِي الرَّحِمِ» (٢).

وقَرِيبُكَ قِطْعَةٌ مِنْكَ، إِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ فَإِنَّمَا تُحَسِّنُ إِلَى شَخْصِكَ،
وَإِنْ بَخِلْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا تَبْخُلُ عَنْ نَفْسِكَ، وَاللَّهُ خَلَقَ الرَّحِمَ وَشَقَّ لَهَا
اسْمًا مِنْ اسْمِهِ، وَوَعَدَ رَبُّنَا بِوَصْلِ مَنْ وَصَلَهَا؛ «أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ
مَنْ وَصَلَكَ وَأَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ» متفق
عليه (٣).

و«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي
قَطَعْتُهُ» متفق عليه (٤).

(١) هو: أبو مُحَمَّدٍ عَمْرُو بْنُ دِينَارِ الجَمحِيِّ مَولاهُم، المَكِّيُّ، الأَثَرُم، وُلِدَ فِي إِمْرَةِ مَعَاوِيَةَ سَنَةِ
(٤٥هـ) أَوْ (٤٦هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (١٢٦هـ). سِيرَ أَعْلَامُ النُّبَلَاءِ (٣٠٠/٥)، تَذَكُّرَةُ الحِفْظِ
للذَّهَبِيِّ (٨٥/١).

(٢) مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (ص ٨٢).

(٣) رَوَاهُ البُخَارِيُّ، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللَّهُ، رَقْمٌ (٥٩٨٧)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ
الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطْعِهَا، رَقْمٌ (٢٥٥٤)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي
هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رَوَاهُ البُخَارِيُّ، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللَّهُ، رَقْمٌ (٥٩٨٩)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ =

وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَدْفَعُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - نَوَائِبَ (١) الدَّهْرِ، وَتَرْفَعُ - بِأَمْرِ اللَّهِ - عَنِ الْمَرْءِ الْبَلَايَا، وَمَنْ وَصَلَهُ الرَّحِيمُ وَصَلَهُ كُلُّ خَيْرٍ، وَلَمْ يَقْطَعْهُ أَحَدٌ، وَمَنْ بَتَّرَهُ الْجَبَّارُ لَمْ يَصِلْهُ بَشَرٌ، وَعَاشَ فِي كَمَدٍ (٢).



= البرِّ والصلَّة والآداب، باب صِلَةِ الرَّحِمِ وتحريم قطيعتها، رقم (٢٥٥٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) أي: مَصَائِب. الصحاح (١/٢٢٩).

(٢) أي: في حُزْنٍ. الصحاح (٢/٥٣١).

كَيْفَ أَصِلُ رَحِمِي؟

الرَّحِمُ تُوصَلُ بِتَعَاهُدِهِمْ بِالزِّيَارَةِ، وَإِكْرَامِهِمْ، وَعِيَادَةِ سَقِيمِهِمْ،
والتَّيسِيرِ عَلَى مُعْسِرِهِمْ، وَتَفْقُدِ أَحْوَالِهِمْ.

وفي الوسائل الحديثة عَوْنٌ عَلَى الطَّاعَةِ بِأَدَاءِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ؛ ففِي
الِاتِّصَالِ امْتِدَادُ جِسْرِ الْعَطْفِ وَالْمَحَبَّةِ، وَفِي الْمُرَاسَلَةِ بَقَاءُ الْوُدِّ، وَفِي
تَبْلِيغِ السَّلَامِ تَجْدِيدُ الْعَهْدِ.

وَكُلُّ وَسِيلَةٍ مُبَاحَةٍ لِتَقْوِيَةِ أَوَاصِرِ ذَوِي الْقُرْبَى اغْتَنِمَهَا فِي أَدَاءِ تِلْكَ
الْعِبَادَةِ.

وَدَعْوَةُ أَقَارِبِكَ وَتَوْجِيهِهِمْ وَإِرْشَادُهُمْ وَنُصْحُهُمْ أَلْزَمٌ مِنْ غَيْرِهِمْ؛
قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].



أَقَارِبِي يُسِيئُونَ إِلَيَّ

الأقاربُ ليسوا سِوَاءَ فِي الصَّلَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تُفَعَّلُ لِفِعْلِ النَّاسِ لَهَا، وَلَا تُتْرَكُ لِتَرْكِ الْأَرْحَامِ لَهَا؛ بَلِ الْمُسْلِمُ وَاصِلٌ لِرَحِمِهِ - وَلَوْ قَطَعُوهُ -، يَصِلُهُمْ لَا مَكَافَأَةً؛ وَإِنَّمَا تَعْبُدُ لِلَّهِ ﷻ، يَقُولُ ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ: مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» رواه البخاري^(١).

وَأَقَارِبُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَشْرُكُونَ آذَوْهُ أَذِيَّةً شَدِيدَةً، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَصِلُهُمْ وَيَقُولُ: «غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا^(٢)» رواه مسلم^(٣)، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ لَهُ - مَعَ مُحَارَبَتِهِمْ لَهُ -: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

وَإِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ الْقَرِيبُ فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الدَّوَاءُ الشَّرْعِيُّ؛ فَالْمُسِيءُ تُقَابِلُ سَيِّئَتَهُ بِالْحَسَنَةِ، وَفِي هَذَا الصَّنِيعِ عُلُوٌّ وَرِفْعَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِزَّةٌ عِنْدَ خَلْقِهِ بِالْجَامِ النَّفْسِ عَنِ قِبَائِحِهَا، يَقُولُ ﷺ: ﴿ادْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وَلَا يُوَفَّقُ لِهَذِهِ الْخَلَّةِ إِلَّا مَنْ أَرْخَصَ نَفْسَهُ فِي جَنْبِ اللَّهِ.

(١) كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، رقم (٥٩٩١)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

(٢) أي: سأصلها بصلتها التي تستحقها. تفسير غريب ما في الصحيحين (ص ٢٩٠).

(٣) كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، رقم (٢٠٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وَتَمَّةٌ خَيْرَ آخِرٍ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مُقَابِلَ إِسَاءَتِهِمْ؛ وَهُوَ كَظْمِ الْغَيْظِ، وَذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظْمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وَفِي مُقَابَلَةِ إِسَاءَتِهِمْ بِالْإِسَاءَةِ هَجْرٌ لِعِبَادَةِ صِلَةِ ذَوِي الْقُرْبَى، وَتَأْجِيجٌ لِلْقَطِيعَةِ، وَوُقُوعٌ فِي حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ وَشِرَاكِهِ؛ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَلَيْهِمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ»^(١)؛ فَقَالَ ﷺ: **لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ؛ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ^(٢)، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣).



(١) أَي: يَقُولُونَ قَوْلَ الْجُهَّالِ؛ مِنَ السَّبِّ وَالتَّقْبِيحِ. الْمَفْهُمُ لَمَّا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ (٥٢٨/٦).

(٢) الْمَلُّ: الرَّمَادُ؛ أَي: تَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ كَلَوْنِ الرَّمَادِ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٣٧٥/٢).

(٣) كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ صِلَةِ الرَّجْمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، رَقْمٌ (٢٥٥٨)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الزَّوْجُ

مَنَافِعُ الزَّوْجِ

الزَّوْجَةُ هِيَ الْمَأْوَى الَّذِي هَيَّأَهُ اللَّهُ لِلرَّجُلِ يَسْتَقَرُّ فِيهِ؛ قَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
 مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، فَذَكَرَ ﷺ أَنَّ
 الزَّوْجَةَ سَكَنٌ.

وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا لِبَاسٌ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ
 الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وَأَيْهُمَا
 أَفْضَلُ لِلشَّابِّ؛ أَنْ يَكُونَ لَهُ لِبَاسٌ يَلْتَحِفُ بِهِ وَسَكَنٌ يَأْوِي إِلَيْهِ، أَمْ يَبْقَى
 عُزْبَانًا وَحِيدًا بِلَا مَسْكَنٍ؟!

وَالزَّوْجُ لِلشَّابِّ أَجْمَعُ لِلذَّهْنِ، وَأَدْعَى لِلرَّجُولَةِ، وَأَمَكُنُ فِي
 الْمَجْتَمَعِ، فَالزَّوْجَةُ عَوْنٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَسَنْدٌ فِي مَتَاعِبِ الْحَيَاةِ، فَلَا
 تَتَرَدَّدُ - أَيُّهَا الشَّابُّ - فِي الْعِزْمِ عَلَى دُخُولِ بَوَابَةِ الزَّوْجِ مُتَفَائِلًا
 بِالسَّعَادَةِ.



صِفَاتُ الزَّوْجَةِ

صفاتُ المرأةِ الباطنة وحُسْنُ معشرها لا تظهر على حقيقتها إلا بعد الزَّوْجِ، فكم من امرأة أُثْنِيَ عليها في خِلالِهَا ثُمَّ تَبَيَّنَ ضِدُّ ذَلِكَ، والإسلام وجهٌ طالب النِّكاحِ إلى اختيار المرأة ذاتِ الدِّينِ التي تُحَقِّقُ له مقاصدَ الزَّوْجِ الشَّرْعِيَّةِ؛ يقولُ ﷺ: «**تُنكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَأَظْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ**» متفق عليه (١).

وشرطُ الدِّينِ في المرأةِ اجْعَلُهُ أساساً في الخِطْبَةِ، وكذا علوُّ خُلُقِهَا ورُقِيَّتُهَا تعاملِهَا وحُسْنُ بَشَاشَتِهَا، فبهاءَ مَنْظَرِهَا مع دينِهَا وخُلُقِهَا من كمالِ صفاتها، وإذا اجْتَمَعَ في المرأةِ دِينٌ ومالٌ وحَسَبٌ وجمالٌ؛ فتلك خِلالٌ أربَعٌ إن اجتمعت في امرأةٍ فأظفرَ بها، ولا تُقَدِّمُ شرطَ الجمالِ على الدِّينِ؛ يقولُ ﷺ: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**» رواه مسلم (٢).

وقبل الخِطْبَةِ اجْعَلِ الأَنَاةَ مَطِيَّتِكَ، والسُّوَالِ عن خُلُقِهَا وَالدِّيْنِهَا أَصْلٌ في معرفة خُلُقِ زَوْجَتِكَ؛ فَالْخَلَلُ في خُلُقِ أَحَدِهِمَا قد يَظْهَرُ أَثْرُهُ السَّيِّئُ عَلَيْهَا.



(١) رواه البخاري، كتاب النِّكاح، باب الأَكْفَاءِ في الدِّينِ، رقم (٥٠٩٠)، ومسلم، كتاب الرِّضَاعِ، باب استحباب نكاح ذاتِ الدِّينِ، رقم (١٤٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كتاب الرِّضَاعِ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصَّالِحَةُ، رقم (١٤٦٧)، من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه.

تَزْوِيجُ الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ

السُّمَّةُ الْغَالِبَةُ عَلَى الْمُجْتَمَعَاتِ تَقْلِيدُ بَعْضِهَا بَعْضًا، وَهَذَا مِنَ الْخَطَأِ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ لَهُ أُصُولٌ ثَابِتَةٌ وَدَعَائِمٌ قَائِمَةٌ، فَلَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى تَقْلِيدِ غَيْرِنَا، وَدِينُنَا حَنَّا عَلَى تَزْوِيجِ الشَّبَابِ - وَكَذَا الشَّابَّاتِ -؛ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحَ ظَاهِرَةٍ، وَدَفْعِ مَحَازِيرَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَالخَالِقُ لِلخَلْقِ أَعْلَمُ بِهِمْ، وَفِي الْإِسْلَامِ قَوْلُ نَبِيِّنَا ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ^(١)» متفق عليه^(٢).

ولو كان في زواجِ الشَّبَابِ وَهَمٌ حَدِيثُو السُّنَنِ مَفْسُدَةٌ لَمَّا حَثَّ الشَّرْعُ الْمُطَهَّرُ عَلَى زَوَاجِهِمْ، وَالْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ الْمُقَرَّرَةُ أَنَّ: «كُلَّ أَمْرٍ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَهُوَ يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ»، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُحِبُّ زَوَاجَ الشَّبَابِ وَالشَّابَّةِ؛ فَلِمَاذَا يَتَوَقَّفُ الْآبَاءُ عَنِ تَزْوِيجِهِمْ؟

وَفِي الْمَجْتَمَعِ وَبَيِّنَاتٌ وَمَصَائِبٌ كَثِيرَةٌ سَبَّبَهَا تَأْخِيرُ الزَّوْاجِ، وَلَيْسَ لِذَلِكَ دَوَاءٌ إِلَّا فِيمَا شَرَعَ اللَّهُ مِنَ النِّكَاحِ؛ ففِيهِ يَتَحَقَّقُ الْعَفَافُ وَالْإِحْصَانُ وَالصَّلَاحُ.

(١) الْوَجَاءُ: رَضُّ خِصْيَتِي الْفَحْلِ رَضًّا يُذْهِبُ شَهْوَةَ الْجَمَاعِ، وَالْمُرَادُ: أَنَّ الصَّوْمَ يَقْطَعُ النِّكَاحَ كَمَا يَقْطَعُهُ الْوَجَاءُ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (١٥٢/٥).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ الصَّوْمِ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْعِزْبَةَ، رَقْمٌ (١٩٠٥)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَّهُ، وَاسْتِغَالَ مِنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤْنِ بِالصَّوْمِ، رَقْمٌ (١٤٠٠)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأَخْلَاقُ

سُمُوُ الْأَخْلَاقِ

حُسْنُ الخُلُقِ يستميل القلوب، وبحُسْنِ المَنْطِقِ وَعُلُوِّ الخُلُقِ يَنْجَذِبُ الخَلْقَ، والنَّبِيُّ ﷺ كان داعيةً بأخلاقه ومُعاملاته؛ فهذا غُلامٌ يهوديٌّ - كان يخدمُ النَّبِيَّ ﷺ - يَمْرُضُ، فيَعُودُهُ ﷺ، وَيَقْعُدُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: «أَسْلِمَ؛ فَنَظَرَ الصَّبِيَّ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا القَاسِمِ؛ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري^(١).

وحُسْنُ الخُلُقِ لا يَتَطَلَّبُ بَدَلَ مالٍ ولا إِجْهادَ نَفْسٍ، وما حُسْنُ الخُلُقِ إِلَّا طَلاقَةُ الوجه، وبَدَلُ المعروف، وكَفُّ الأذى.

والتَّحَلِّيُّ بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق والهُدْيُ الحَسَنَ والسَّمْتُ الصَّالِحَ سِمَةَ ذوي الفضل والمُروءات، وخَيْرُ النَّاسِ مَنْ عَلا خُلُقُهُ؛ قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً» متفق عليه^(٢).

وَدِيننا يَأْمُرُ بالمَكَارِمِ، وَيَنْهَى عَنِ المَفاسِدِ، وَعُلُوُّ المَرءِ يَكُونُ بالدِّينِ والأخلاقِ والآدابِ، وتَهْذِيبُ النُّفوسِ عَوْنٌ عَلَى عِمارة القلوبِ، ودليلٌ عَلَى مَحامِدِ الأُمورِ.



(١) كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصَّبِيُّ فمات هل يُصَلَّى عليه، رقم (١٣٥٦)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النَّبِيِّ ﷺ، رقم (٣٥٥٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ، رقم (٢٣٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

هل حُسنُ الخُلُقِ عِبَادَةٌ؟

حُسْنُ الخُلُقِ عِبَادَةٌ مِنْ أَجْلِ العِبَادَاتِ، وَكثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَجْهَلُ ذَلِكَ؛ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ القِيَامُ بِحَقِّ اللَّهِ دُونَ حُقُوقِ عِبَادِهِ»^(١).

يقول أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فَقَالَ: **تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ**» رواه الترمذي^(٢).

والمَرْءُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُهُ إِلَّا بِحُسْنِ الخُلُقِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**» رواه الترمذي^(٣).

وَحُسْنُ الخُلُقِ مَعَ الإِيمَانِ صَاحِبُهُ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا زَعِيمٌ - أَيُّ: ضَامِنٌ - بَيْتٍ فِي رَبْضِ الجَنَّةِ**»^(٤) **لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ**^(٥) **وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ**» رواه أبو داود^(٦).

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٥٤).

(٢) أبواب البرِّ والصَّلة، باب ما جاء في حسن الخُلُقِ، رقم (٢٠٠٤).

(٣) أبواب الرِّضَاع، باب ما جاء في حقِّ المرأة على زوجها، رقم (١١٦٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أي: ما حَوْلَهَا خَارِجًا عَنْهَا؛ تَشْبِيهَا بِالْأَبْنِيَةِ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ المَدِينِ وَتَحْتَ القَلَاعِ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ (٢/١٨٥).

(٥) المِرَاءُ: الجِدَالُ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ (٤/٣٢٢).

(٦) كتاب الأدب، باب في حسن الخُلُقِ، رقم (٤٨٠٠)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَجَمَاعُ الْخَيْرِ كُلُّهُ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ» رواه مسلم^(١).

وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْكِي خُلُقَ النَّبِيِّ ﷺ، فيقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا» متفق عليه^(٢).

وكانت أخلاق النبي ﷺ عظيمةً عاليةً، وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، يعلو وجهه البشر والشور والفال؛ لم يكن عبوساً ولا مُشمئزاً، يقول جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣): «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْذُ أُسْلِمْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ» رواه البخاري في الأدب المفرد^(٤).

وذو الأخلاق مع الإيمان أقرب الناس مجلساً من النبي ﷺ في الآخرة؛ قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» رواه الترمذي^(٥).

وبعض الناس يُفِرُّط في القيام بحقوق الخلق، ويظن أن كمال التَّعَبُّد هو إصلاح ما بينه وبين خالقه - دُونَ خَلْقِهِ -؛ قال ابن

(١) كتاب البرِّ والصلَّة والآداب، باب تفسير البرِّ والإثم، رقم (٢٥٥٣)، من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الكُفْيَةِ لِلصَّبِيِّ وَقَبْلَ أَنْ يُؤَلَّدَ لِلرَّجُلِ، رقم (٦٢٠٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقًا، رقم (٢٣١٠).

(٣) هو: أبو عبد الله جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً، وتوفي سنة (٥١هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة (١/٣٣٣).

(٤) باب التَّبَسُّمِ، (ص ٩٧)، رقم (٢٥٠).

(٥) أبواب البرِّ والصلَّة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم (٢٠١٨).

رَجَبٌ ﷺ: «وَكَثِيرًا مَا يَغْلِبُ عَلَيَّ مَنْ يَعْتَنِي بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَالْإِنْعَافِ عَلَيَّ مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَطَاعَتِهِ؛ إِهْمَالُ حُقُوقِ الْعِبَادِ بِالْكُلِّيَّةِ، أَوْ التَّقْصِيرُ فِيهَا، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ عَزِيزٌ جِدًّا لَا يَقْوَى عَلَيْهِ إِلَّا الْكَمَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ»^(١).

والجمع بين حق الله وحق عباده لا يُوفَّق إليه كلُّ عبدٍ، قال المُحَاسِبِيُّ ﷺ^(٢): «ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ عَزِيزَةٌ أَوْ مَعْدُومَةٌ: حُسْنُ الْوَجْهِ مَعَ الصِّيَانَةِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ الدِّيَانَةِ، وَحُسْنُ الْإِخَاءِ مَعَ الْأَمَانَةِ»^(٣).



(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٥٤).

(٢) هو: أبو عبد الله الحارث بن أسد المُحَاسِبِيُّ البغداديّ، توفي سنة (٢٤٣هـ). سير أعلام النبلاء (١٢/١١٠)، طبقات الشافعية (١/٥٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/٤٥٤).

التَّحَلِّيُّ بِالصِّدْقِ

الصِّدْقُ من أعظمِ الفضائلِ الأخلاقيَّةِ، وأكرمِ الصِّفَاتِ الإنسانيَّةِ، وهو أساسُ الإيمانِ؛ به تَظْهَرُ الرِّفْعَةُ والهَمَّةُ والعُلُوُّ، يَتَحَلَّى به الأمثالُ من الرِّجَالِ، وَيَتَّصِفُ به الأوفياءُ من المؤمنين، فأبو بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه (١) لم تُعَدَّ عليه كِذْبَةٌ في حياته.

يقول مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنه (٢) - في وصف أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه - :
«وَأَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى تَسْمِيَّتِهِ بِالصِّدِّيقِ؛ لِأَنَّهُ بَادَرَ إِلَى تَصَدِّيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَازَمَ الصِّدْقَ، فَلَمْ تَقَعْ مِنْهُ هِنَاةٌ» (٣) مَا، وَلَا وَقْفَةٌ فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ» (٤).

واللَّهُ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَى الصِّدْقِ ﴿وَقَدْ رَبَّ أَدْخَلِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرَجِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وهو علامةٌ على رِفْعَةِ المُتَّصِفِ به؛ فَالتَّحَلِّيُّ به يُوصِلُ العَبْدَ إلى

(١) هو: أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي القرشي، الصديق، صاحب رسول الله ﷺ، وخليفته، وأحضر الناس به، توفي سنة (١٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٩٦٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/٨٤).

(٢) هو: أبو عيسى مصعب بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، توفي سنة (٧٢هـ) وله أربعون سنة. سير أعلام النبلاء (٤/١٤٠).

(٣) أي: أشياء مكرهة منكورة. مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٦/١٣٦).

(٤) تاريخ الخلفاء (ص ٢٦).

منازل الأبرار، وإذا رأيت رجلاً صادقاً في حديثه وتعامله؛ فترقّب علوه ورفعته.

والعبد مطالب بالصدق في جميع أحواله؛ يقول الجُنَيْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١):
«حَقِيقَةُ الصِّدْقِ: أَنْ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ إِلَّا الْكَذِبُ»^(٢).

وإذا تحلّيت بالصدق فاعلم أنّ ذلك من منن الله العظيمة عليك؛ يقول ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ - بَعْدَ الْإِسْلَامِ - بِنِعْمَةٍ أَفْضَلَ مِنَ الصِّدْقِ الَّذِي هُوَ غِذَاءُ الْإِسْلَامِ وَحَيَاتِهِ، وَلَا ابْتِلَاءُ بِيَلِيَّةٍ أَعْظَمَ مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي هُوَ مَرَضُ الْإِسْلَامِ وَفَسَادُهُ»^(٣).

ويوم القيامة لا ينجي العبد إلا الصدق؛ قال سبحانه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فلازم الصدق في قولك وفعلك لتلحق برتبة الصديقين في الجنة.



(١) هو: أبو القاسم الجُنَيْد بن مُحَمَّد بن الجُنَيْد النَّهْأَوْنَدِي، القواريري، ولد سنة (٢٢٠) ونيّف، وتوفي سنة (٢٩٧هـ). طبقات الصوفية (ص ١٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٤/٦٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/٢٦٥).

(٣) زاد المعاد (٣/٥١٧).

الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ

الوفاء بالوعد من نُعوت ذوي المُرُوءات، والخُلف فيه قَدْحٌ في كمال الرُّجولة، وعِصيانٌ لربِّ العالمين، وأمارَةٌ على احتقار الآخرين، ولم يَتَّصف بتلك الصِّفة إلَّا أَراذِلُ الخَلْقِ.

يقول ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ**» متفق عليه^(١)، زاد مسلم: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

وَمَنْ أَخْلَفَ وَعَدَهُ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ؛ قَالَ ﷺ: «**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا**» [الإسراء: ٣٤]؛ فيجب عليك الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد.

وَمَنْ وَعَدَ فَعَلَّقَ وَعَدَهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَهُوَ يَنْوِي عَدَمَ الْوَفَاءِ بِهِ؛ كَانَ ذَلِكَ مِنْ إِخْلَافِ الْوَعْدِ؛ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَهَذَا أَشْرُّ الْخُلْفِ، وَلَوْ قَالَ: أَفْعَلُ كَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ لَا يَفْعَلَ؛ كَانَ كَذِبًا وَخُلْفًا، قَالَهُ الْأَوْزَاعِيُّ»^(٢).



(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٤٨٢). والأوزاعيُّ هو: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمَد الأوزاعيِّ، ولد سنة (٨٨هـ)، وتوفي سنة (١٥٧هـ). سير أعلام النبلاء (٧/١٠٧).

الرُّسُلُ وَخِدْمَةُ النَّاسِ

نَفَعُ النَّاسَ وَالسَّعْيُ فِي كَشْفِ كُرُوبِهِمْ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهُمْ السَّابِقُونَ فِي هَذَا؛ فَالْكَرِيمُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَ مَا فَعَلَهُ إِخْوَتُهُ بِهِ - جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ.

وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتُقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ مَسْتَضْعَفَتَيْنِ؛ رَفَعَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَيْرِ، وَسَقَى لَهُمَا حَتَّى رَوَيْتَ أَغْنَامَهُمَا.

كَمَا شَفَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِ أَنْ يَكُونَ أَخُوهُ هَارُونَ نَبِيًّا؛ فَقَالَ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِهِ (١): «قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَيْسَ أَحَدٌ أَعْظَمَ مِنْهُ عَلَى أَخِيهِ مِنْ مُوسَى عَلَى هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّهُ شَفَعَ فِيهِ حَتَّى جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا وَرَسُولًا مَعَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ مُوسَى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]».

وَخَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٢) تَقُولُ - فِي وَصْفِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ (٣)، وَتَكْسِبُ

(١) (٢٣٦/٦).

(٢) هي: أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ الْأَسَدِيَّةِ الْقُرَشِيَّةِ، كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَوُلِدَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا وَلَدُهُ كُلُّهُمْ حَاشَا إِبْرَاهِيمَ، تَوَفَّيَتْ (٣ق.هـ)، وَقِيلَ: (٤ق.هـ). الْاسْتِعَابُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ (٤/١٨١٧).

(٣) أي: مِنَ الْأَثْقَالِ وَالْحَوَائِجِ الْمُهْمَمَةِ وَالْعِيَالِ، وَكُلُّ مَا يَتَّكَلَّفُ وَيَثْقُلُ حَمْلُهُ فَهُوَ كَلٌّ. تَفْسِيرٌ غَرِيبٌ مَا فِي الصَّحِيحِينَ - الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ - (ص ٥٠٩).

الْمَعْدُومِ^(١)، وَتَقْرِي الضَّيْفِ^(٢)، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٣) متفق عليه^(٤).

وكان نبينا مُحَمَّدٌ ﷺ إذا سُئِلَ حاجةً لم يرُدَّ السَّائِلَ عن حاجته؛ يقول جابر رضي الله عنه: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ، فَقَالَ: لَا» متفق عليه^(٥)، والدُّنْيَا أَقْلٌ مِنْ أَنْ يُرَدَّ طَالِبُهَا.

وعلى هذا النَّهْجِ الْقَوِيمِ سَارَ الصَّحَابَةُ وَالصَّالِحُونَ؛ فَقَدْ كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَتَعَاهَدُ الْأَرَامِلَ؛ يَسْقِي لِهِنَّ الْمَاءَ^(٦).

وكان زُبَيْدٌ رضي الله عنه إذا كانت اللَّيْلَةُ مَطِيرَةً أَخَذَ شُعْلَةً مِنَ النَّارِ فَطَافَ عَلَى عَجَائِزِ الْحَيِّ، فَيَقُولُ: «أَوْكَفَ^(٧) عَلَيْكُمْ بَيْتٌ؟ أَتُرِيدُونَ نَاراً؟ فَإِذَا أَضْبَحَ طَافَ عَلَى عَجَائِزِ الْحَيِّ، فَيَقُولُ: أَلَكُمْ فِي السُّوقِ حَاجَةٌ؟ أَتُرِيدُونَ شَيْئاً؟»^(٨).

(١) أي: تَكْسِبُ مَا يُحْرَمُهُ غَيْرُكَ؛ فَالشَّيْءُ الَّذِي لَا يُوجَدُ تَكْسِبُهُ لِنَفْسِكَ، وَقِيلَ: تَكْسِبُ النَّاسَ الشَّيْءَ الْمَعْدُومَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَهُ مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ. مشارق الأنوار (٢/٦٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/١٩١).

(٢) أي: تُهَيِّئُ لَهُ طَعَامَهُ وَنَزْلَهُ. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (٢/١٨١).

(٣) النَوَائِبُ: جَمْعُ نَائِبَةٍ؛ وَهِيَ: الْحَادِثَةُ، وَقِيْدَتْ بِالْحَقِّ؛ لِأَنَّ النَّائِبَةَ قَدْ تَكُونُ فِي الْخَيْرِ، وَقَدْ تَكُونُ فِي الشَّرِّ. شرح النووي على مسلم (٢/٢٠٢).

(٤) رواه البخاري، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حُسن الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبَخْلِ، رَقْم (٦٠٣٤)، وَمُسْلِم، كِتَابِ الْفَضَائِلِ، بَابِ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ فَقَالَ: لَا، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ، رَقْم (٢٣١١).

(٦) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٢٩٥).

(٧) وَكَفَّ الْبَيْتُ بِالْمَطَرِ، وَالْعَيْنُ بِالذَّمْعِ: سَأَلَ قَلِيلاً قَلِيلاً. المصباح المنير (٢/٦٧٠).

(٨) صفة الصفوة (٢/٥٦).

وكان شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ يَسْعَى سعيًا شديدًا لقضاءِ حوائج المسلمين^(١).



(١) العقود الدرّية (ص ١٣٤).

قِضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ

ما اسْتُجِلِبَتْ نِعْمُ اللَّهِ واستُذْفِعَتْ نِقْمُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ والتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ والإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ، والدِّينِ الحَنِيفِ جاء بِالْعِلْمِ والعَمَلِ؛ فأمر بإخْلاصِ العِبَادَةِ وحُسْنِ المعامِلةِ، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَأَحْسَنَ إِلَى النَّاسِ؛ فَهَذَا قَائِمٌ بِحُقُوقِ اللَّهِ وَحَقِّ عِبَادِ اللَّهِ فِي إِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ»^(١).

وقِضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ بَرَكَتٌ فِي الوَقْتِ والعَمَلِ، وَسَبَبٌ فِي تيسيرِ ما تَعَسَّرَ؛ يقول رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» رواه مسلم^(٢).

والشَّرِيعَةُ جَاءتْ بِالْحَثِّ عَلَى التَّعَاوُنِ بَيْنِ النَّاسِ، وقِضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، والسَّعْيِ فِي تَفْرِيجِ كُرُوبِهِمْ؛ يقول رَحِمَهُ اللهُ: «مَنْ نَفَسَ عَن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا؛ نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم^(٣).

بِبَدْلِ المعروفِ والإِحْسَانِ إِلَى الخَلْقِ تحسُّنِ الخاتمةِ، وتُصَرَفُ عَنْكَ مِيتَةُ السُّوءِ؛ يقول رَحِمَهُ اللهُ: «المَعْرُوفُ إِلَى النَّاسِ يَقِي صَاحِبَهَا

(١) الفتاوى (١/٥٣).

(٢) كتاب الذِّكْرِ والدُّعَاءِ والتَّوْبَةِ والاستِغْفَارِ، باب فَضْلِ الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، رَقْم (٢٦٩٩)، من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) قِطْعَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ.

مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالْآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ
أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ» رواه الحاكم (١).

وقضاء الحوائج صدقات مبدولة؛ يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ مَشَى
بِحَقِّ أَحِيهِ إِلَيْهِ لِيَقْضِيَهُ، فَلَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ صَدَقَةٌ» (٢).

وقضاء حوائج الناس مفتاح للخير، وتعطيها فتح للشُّور؛ يقول
ابن القيم رحمته الله: «وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَتَجَارِبُ الْأُمَمِ - عَلَى
اِخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَمِلَلِهَا وَنَحْلِهَا - عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَالْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ
لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَضْدَادَهَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ شَرٍّ» (٣).

والمعروف ذخيرة الأبد، والسعي في شؤون الناس زكاة أهل
المُروءات، والكسل عن الفضائل بئس الرفيق، وحبُّ الدعة والراحة
يورث من الندم ما يربو على كلُّ مُتعة.

ومن المصائب - عند ذوي الهمم - أن لا يقصدهم الناس في
قضاء حوائجهم؛ يقول حكيم بن حزام رضي الله عنه (٤): «مَا أَصْبَحْتُ وَلَيْسَ
بِبَابِي صَاحِبُ حَاجَةٍ، إِلَّا عَلِمْتُ أَنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ» (٥).

(١) في المستدرک (١/٢١٣)، رقم (٤٢٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/٩٠).

(٣) الجواب الكافي (ص ٣٠).

(٤) هو: أبو خالد حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي القرشي، ولد قبل الفيل بثلاث عشرة
سنة، أو اثنتي عشرة سنة، توفي سنة (٥٤هـ) في خلافة معاوية رضي الله عنه. الاستيعاب في معرفة
الأصحاب (١/٣٦٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٥١).

وبخدمةِ النَّاسِ وقضاءِ حوائِجِهِم تَجذِبُ أَفئِدَتَهُم، وتَسْتَمِيلُ
قُلُوبَهُم؛ قال الشَّاعر^(١):

أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ فَطالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ



(١) وهو: أبو الفتح البُستِيّ. عنوان الحِكْم - ضمن «متون طالب العلم، المستوى الرَّابِع» -
بتحقيقنا (ص ٧٠).

التواضع

حقيقة العُلُوِّ إِنَّمَا هُوَ الْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ، وَالتَّمَايُزُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّقْوَى
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

والتَّزْحُرْفُ فِي الْمَلْبَسِ وَالصُّورَةِ لَا يُغْنِي عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا؛ قَالَ ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ
وَأَعْمَالِكُمْ» رواه مسلم^(١).

واحتقار الآخرين - لِقَلَّةِ ذات أَيْدِيهِمْ أَوْ جَاهِهِمْ، أَوْ عَدَمِ حُسْنِ
صُورَتِهِمْ - ضَعْفُ فِي الْعَقْلِ، وَنَقْصُ فِي كِمَالِ الْإِدْرَاكِ، وَقِلَّةُ فِي
الْإِيمَانِ.

فالحياةُ وزينتها، وغانها وجأها وزحرفها؛ دَوْلُ بَيْنِ الْخَلْقِ^(٢)،
فكم مِنْ فَقِيرٍ اغْتَنَى! وَكم مِنْ وَضِعٍ شَرَفَ! وَالْمُحْتَقِرُ لغيره يُخْشَى عليه
أَنْ تَزُولَ عَنْهُ نِعْمَةُ غِنَاهُ، أَوْ جَاهُهُ، أَوْ مَكَانَتُهُ، أَوْ صُورَتُهُ.

والتَّوَاضَعُ لِلْخَلْقِ آيَةٌ عَلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ، وَكِمَالِ الْعَقْلِ، وَرَأْفَةِ
الْقَلْبِ، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ يَكُونُ كَثِيرٌ مِمَّنْ لَهُ صُورَةٌ حَسَنَةٌ، أَوْ

(١) كتاب البرِّ والصَّلةِ والآدابِ، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه،
وماله، رقم (٢٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: تتداول، تكون مرَّةً لهذا ومرَّةً لهذا. الصحاح (٤/١٧٠٠).

مَالٌ، أَوْ جَاهٌ، أَوْ رِيَاةٌ فِي الدُّنْيَا قَلْبُهُ خَرَابٌ مِنَ التَّقْوَى، وَيَكُونُ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَلْبُهُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّقْوَى، فَيَكُونُ أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛ بَلْ ذَلِكَ هُوَ الْأَكْثَرُ وَقُوعًا، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ^(١) عَنْ حَارِثَةَ بِنِ وَهْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢)، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عَتُلٍّ جَوَاطِئٍ مُسْتَكْبِرٍ)**^(٣) «(٤)».

وفي التَّوَاضِعِ رِفْعَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»** رواه مسلم^(٥).

وكان شيخُ المُحدِّثين أبو موسى المَدِينِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٦) يُقَرِّئ الصَّبِيَّانَ الْقُرْآنَ فِي الْأَلْوِاحِ؛ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ.

والمُتَوَاضِعُ مَنْ إِذَا رَأَى أَحَدًا قَالَ: هَذَا أَفْضَلُ مِنِّي؛ يَقُولُ

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الكبر، رقم (٦٠٧١)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٢٨٥٣).

(٢) هو: حارثة بن وهب الخُزاعي، أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لأُمِّه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٠٨/١).

(٣) أي: الجَمُوعُ المَنُوعُ، وقيل: الكَثِيرُ اللَّحْمِ المُخْتَالِ فِي مِشِيَّتِهِ، وقيل: القَصِيرُ البَطِينِ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣١٦/١).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢٧٦/٢).

(٥) كتاب البرِّ والصَّلة والآداب، باب استحباب العفو والتَّوَضُّعِ، رقم (٢٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) هو: أبو موسى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ المَدِينِيَّ الأصبهاني الشَّافعي، ولد سنة (٥٠١هـ)، وتوفي سنة (٥٨١هـ). طبقات الشافعية الكبرى (١٦٠/٦).

الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١): «أَرْفَعُ النَّاسَ قَدْرًا: مَنْ لَا يَرَى قَدْرَهُ، وَأَكْثَرُهُمْ فَضْلًا: مَنْ لَا يَرَى فَضْلَهُ»^(٢).



(١) هو: أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس بن العَبَّاس المُطَّلِبِي القُرَشِي، الشَّافِعِي، أحد أئمَّة المذاهب الأربعة، وُلِد سنة (١٥٠هـ)، وتوفي سنة (٢٠٤هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦٣/٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩٩/١٠).

قُبْحُ الكَذِبِ

الكذبُ مِفْتَاحُ النِّفاقِ وأساسُهُ، وهو من أخصِّ صفات الأراذل من الخَلْقِ؛ قال ﷺ: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ**» متفق عليه^(١).

وما أخرج آدمٌ وحواءُ من الجَنَّةِ إلاَّ بسببِ كذبِ إبليسَ عليهما؛ قال ﷺ عن إبليس: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

وقد جعل أهل العِلْمِ حال الكاذبِ أسوأَ من حال البهائم؛ قال شيخ الإسلام: «الكاذِبُ أسوأُ حالًا مِنَ البَهِيمَةِ العَجَمَاءِ»^(٢)،^(٣).

والكذبُ يُوصِلُ إلى فسادِ المَعاشِ والمَعادِ؛ قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كُلُّ عَمَلٍ فَاسِدٍ - ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ - فَمَنْشُؤُهُ الكَذِبُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَاقِبُ الكَذَّابَ بَأَن يُقْعِدَهُ وَيُثَبِّطَهُ عَنِ مَصَالِحِهِ وَمَنَافِعِهِ، وَيُثَبِّبُ الصَّادِقَ بَأَن يُوفِّقَهُ لِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، فَمَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الصِّدْقِ، وَلَا مَفَاسِدُهُمَا وَمَضَارُّهُمَا بِمِثْلِ الكَذِبِ»^(٤).

ولو لم يَأْتِكَ من مفاسد الكذبِ إلاَّ أَنَّهُ يَحْرِمُكَ من درجة الصِّدِّيقِيَّةِ

(١) سبق تخريجه (ص ١٢٤).

(٢) أي: التي لا تَتَكَلَّمُ. غريب الحديث للقاسم بن سلام (١/ ٢٨١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧٤/ ٢٠).

(٤) الفوائد (ص ١٣٦).

في الآخرة؛ لكفى به مفسدة، فإنَّ درجةَ الصِّدِّيقِيَّةِ لا ينالها كاذبُ البتَّةِ،
فجانبِ الكذبِ في حديثك؛ فهو يهوي بك في الرذائل، ويُبعدُ عنك
الأصحاب، ويُبغضُ فيك الخلقَ، ويحذّرُ منك في التَّعاملِ.



الْإِبْتِعَادُ عَنِ الْحَسَدِ

الْحَسَدُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ، وَغَالِباً يَقَعُ بَيْنَ النَّظَرِ؛ لِكْرَاهَةِ أَحَدِهِمَا لِصَاحِبِهِ، أَوْ لِفَضْلِ الْآخَرِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ خَصْلَةٌ ذَمِيمَةٌ مِنْ خِصَالِ الْيَهُودِ؛ قَالَ ﷺ: ﴿أَمْرٌ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وَهُوَ نَارٌ مُحْرِقَةٌ لِمَنْ بَلِيَ بِهِ؛ فَهُوَ فِي عَذَابِ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: «قَاتَلَ اللَّهُ الْحَسَدَ مَا أَعْدَلَهُ! بَدَأَ بِصَاحِبِهِ فَقَتَلَهُ!» (١).

وَقَدْ قِيلَ: «أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصِيَ اللَّهُ بِهِ ثَلَاثَةٌ: الْحِرْصُ وَالْكَبْرُ وَالْحَسَدُ؛ فَالْحِرْصُ مِنْ آدَمَ، وَالْكَبْرُ مِنْ إِبْلِيسَ، وَالْحَسَدُ مِنْ قَابِيلَ؛ حَيْثُ قَتَلَ هَابِيلَ» (٢).

وَالْحَسَدُ نَوْعٌ مِنْ مُعَادَاةِ اللَّهِ؛ فَالْحَاسِدُ يَكْرَهُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ، وَقَدْ أَحَبَّهَا اللَّهُ، وَأَحَبَّ الْحَاسِدُ زَوَالَهَا عَنْهُ، وَاللَّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ؛ فَهُوَ مُضَادٌّ لِلَّهِ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَكِرَاهِيَّتِهِ.

وَهُوَ مُنَافٍ لِلْأُخُوَّةِ فِي الدِّينِ؛ قَالَ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا

(١) المستطرف في كل فن مستظرف (ص ٣٠٥).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١٢٦).

تَنَاجَشُوا^(١) وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا^(٢)، وَلَا يَبِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بَعْضٌ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» رواه مسلم^(٣).

والحاسدُ كارهٌ فضلَ الله على عباده، مَبْغُوضٌ في الخلقِ، مُحِبٌّ لِلذَّاتِ، كارهٌ لنفع الآخرين؛ قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه^(٤): «كُلُّ النَّاسِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْضِيَهُ إِلَّا حَاسِدَ نِعْمَةٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالَهَا»^(٥).

وقال ابن القيم رحمته الله: «الْحَاسِدُ عَدُوٌّ نِعْمِهِ - أَي: نِعَمِ اللَّهِ - وَعَدُوٌّ عِبَادِهِ، وَمَمْقُوتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، وَلَا يَسُودُ أَبَدًا، وَلَا يُوَأْسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُسَوِّدُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ»^(٦).

والفَاضِلُ لا يكون حَسُودًا، ولا يَحْسُدُ إِلَّا المَفْضُولُ، واللَّهِ وَجِبَّتِكَ قد يُنِعِمُ على المحسود بالنَّعْمَةِ التي حَسِدَ عليها، فيعيدها له، أو يَزِيدُ؛ قال شيخ الإسلام رحمته الله: «فَإِنَّ بُغْضَهُ لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ مَرَضٌ، فَإِنَّ تِلْكَ النِّعْمَةَ قَدْ تَعَوَّدَ عَلَى المَحْسُودِ وَأَعْظَمَ مِنْهَا، وَقَدْ يَحْصُلُ نَظِيرُ تِلْكَ النِّعْمَةِ لِنَظِيرِ ذَلِكَ المَحْسُودِ»^(٧).

(١) التَّنَاجُشُ: أن يَزِيدَ الرَّجُلُ فِي ثَمَنِ السُّلْعَةِ وهو لا يُرِيدُ شَرَاءَهَا. غريب الحديث للقاسم بن سلام (١٠/٢).

(٢) التَّدَابُرُ: التَّقَاطُعُ والتَّهَابُجُرُ. غريب الحديث للقاسم بن سلام (١٠/٢).

(٣) كتاب البرِّ والصِّلَةِ والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره، ودمه، وعرضه، وماله، رقم (٢٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) هو: أبو عبد الرَّحْمَنِ معاوية بن أبي سفيان بن صَخْرِ الأمويِّ القُرَشِيِّ، أسلم قبل الفَتْحِ وعمره (١٨) سنة، وتوفي سنة (٦٠هـ). معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٤٩٦/٥).

(٥) المجالسة وجواهر العلم (٥٠/٣).

(٦) بدائع الفوائد (٢/٢٣٧). (٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١١٢).

وَمَنْ وَجَدَ فِي قَلْبِهِ حَسِداً لغيره فليُجاهِدْ نَفْسَهُ بِالتَّقْوَى وَالصَّبْرِ،
قال رَجاءُ بن حَيوة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١): «مَا أَكْثَرَ عَبْدٌ ذَكَرَ الْمَوْتَ إِلَّا تَرَكَ الْحَسَدَ
وَالْفَرَحَ»^(٢).

فعليك بالسَّعي في إزالة الحسد من قلبك، والإحسان إلى
المحسود؛ بإكرامه والدُّعاء له، ونشر فضائله، وأغلِّ بنفْسِك إلى إزالة
ما وجدت عليه في نَفْسِك من الحسد حتَّى تصل إلى مَرْتَبَةٍ تتمنى فيها
أن يكون أخوك المسلم خيراً منك وأفضل؛ قال ابن رَجَب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَهَذَا
مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِيْمَانِ، وَصَاحِبُهُ هُوَ الْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ الَّذِي يُحِبُّ
لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٣).

والمَحْسُودُ مَظْلُومٌ مَأْمُورٌ بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى؛ فليَصْبِرْ على أذى
الحاسد وليَعْفُ وليَصْفَحْ عنه فالرُّفْعَةُ له.

قال ابن القيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مِنْ أَضْعَبِ الْأَسْبَابِ عَلَى النَّفْسِ وَأَشَقَّهَا
عَلَيْهَا - وَلَا يُوقَفُ لَهَا إِلَّا مَنْ عَظَّمَ حَظَّهُ مِنَ اللَّهِ - إِظْفَاءُ نَارِ الْحَاسِدِ
وَالْبَاغِيِ وَالْمُؤْذِيِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ؛ فَكُلَّمَا ازدَادَ أذىً وَشراً وَبَغياً وَحَسِداً؛
ازدَدَتْ إِلَيْهِ إِحْسَاناً، وَلَهُ نَصِيحَةٌ، وَعَلَيْهِ شَفَقَةٌ»^(٤).



(١) هو: رَجاءُ بن حَيوة بن جِروال الكنديّ، توفي سنة (١١٢هـ). سير أعلام النبلاء (٤/٥٥٧).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/١٧٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٢٦٣).

(٤) بدائع الفوائد (٢/٢٤٣).

الحذر من الغيبة

مَنْ عَزَّتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ صَانَهَا وَحَمَاهَا، وَمَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ أَطْلَقَ لَهَا عِنَانَهَا، وَأَرْخَى زِمَامَهَا؛ فَأَلْقَاهَا فِي الرَّذَائِلِ، وَلَمْ يَحْفَظْهَا مِنَ الْمَزَالِقِ، وَالنَّاسِ عَوْرَاتٍ وَمَعَايِبٍ، وَزَلَّاتٍ وَمَثَالِبٍ؛ فَلَا تَظَنَّ أَنَّكَ عَلِمْتَ مَا لَمْ يَعْلَمْ غَيْرُكَ، أَوْ أَنَّكَ أَدْرَكْتَ مَا عَجَزَ عَنْهُ غَيْرُكَ، وَالْمَوْفُوقُ مَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنِ عُيُوبِ النَّاسِ.

والغيبة جالبة للسَّيِّئَاتِ، يقول الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ لِلْغَيْبَةِ أَسْرَعُ فِي دِينِ الرَّجُلِ مِنَ الْآكِلَةِ فِي الْجَسَدِ»^(١)، وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَعْتَابُ إِلَّا مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، أَمَّا مَنْ هُوَ دُونَهُ فَيُقَدِّمُ الرَّحْمَةَ عَلَى الْغَيْبَةِ.

والإسلام حارب الهوى، ورتب جزاءً على الغيبة أن تُعْطَى حسناتك لمن تغتابه، وكلُّ ذلك تنفيرٌ من الغيبة، يقول ابن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَوْ كُنْتُ مُغْتَابًا أَحَدًا لَا عَتَبْتُ وَالِدِي؛ لِأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي»^(٢)، فَهِيَ نَارُ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَأْكُلُهَا؛ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطْبَ.

وَلِمَا تَجْلِبُهُ الْغَيْبَةُ - مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَتَنَنِ اللِّسَانِ - خَافَهَا الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ يَقُولُ أَبُو عَاصِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٣): «مُذْ عَقَلْتُ أَنَّ الْغَيْبَةَ حَرَامٌ مَا

(١) إحياء علوم الدين (٣/١٤٣).

(٢) الأذكار للنووي (ص ٣٤٠).

(٣) هو: أبو عاصم الضَّحَّاكُ بن مَخْلَدِ بْنِ الضَّحَّاكِ الشَّيْبَانِيِّ البَصْرِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ (١٢٠هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (٢١٢هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ١٥٩).

اغْتَبْتُ أَحَدًا»^(١).

فاحفظ لِسَانَكَ عن أعراضِ النَّاسِ، وعن ساقِطِ القولِ ومَرْدُولِهِ؛
تَكُنْ زاكِي النَّفْسِ، مَحْبُوباً عندَ الخَلْقِ، مُقَرَّباً عندَ الخالِقِ.



(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٥/٢).

الْجَلِيسُ الصَّالِحُ

مَنَافِعُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ

المرءُ يتأثرُ بجليسِهِ، ويُعرَفُ بمجالِسِهِ، والمُسلِمُ بمُفردِهِ يَضَعُفُ عن عبادةِ رَبِّهِ؛ لذا لا بُدَّ له من جَلِيسٍ يُقَوِّي عَضُدَهُ لِلسَّيرِ إِلَى رَبِّهِ، والصُّحْبَةُ لها شأنٌ كبيرٌ في الإسلام.

والأنبياءُ - بل أولُو العَزمِ من الرُّسلِ - اتَّخَذُوا لَهُم أَصْحَاباً؛ فِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿مَنْ أَنْصَرَيْتَ إِلَى اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴾ [الصف: ١٤] أي: مَنْ يُعِينُنِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ (١).

ونبيُّنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّخَذَ لَهُ صَاحِباً فِي حَيَاتِهِ؛ قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]؛ فَأَخْبَرَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ لِنَبِيِّنَا صَاحِباً، وَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي» متفق عليه (٢).

وقد كان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُ صَاحِبَهُ أَبَا بَكْرٍ فِي دَارِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ؛ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوِيَّ إِلَّا وَهَمًا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ

(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٥٦)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَمُرُّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ: بُكْرَةً وَعَشِيَّةً»
رواه البخاري^(١).

الجلس الصالح يحفظك في الغيب، ويظهرُ ودك إذا حضرت،
يُدينك من ربك، يهديك للخير، يُذكرك إذا نسيت، ويحضك إذا
غفلت؛ لا تسمع منه إلا قولاً طيباً، ولا ترى إلا فعلاً حسناً؛ فاختر
في طريقك ناصحاً مُخلصاً في صحبتك، يُعينك إذا انشيت، ويُقوي
همتك إذا ضعفت، وأكثر من مجالسة الصالحين، وأهل الخير والمروءة
ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب.



(١) كتاب الأدب، باب هل يزور صاحبه كل يوم أو بكرة وعشيّاً، رقم (٦٠٧٩).

الأخوة في الله

كلُّ رابِطٍ في الحياة يَنْقَلِبُ في الآخرة إلى عداوةٍ إلا ما كان في ذات الله؛ قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزحرف: ٦٧]، قال ابنُ كثيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تفسيره^(١): «أَيُّ: كُلُّ صَدَاقَةٍ وَصَحَابَةٍ لِيُغَيِّرَ اللهُ تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَإِنَّهُ دَائِمٌ بَدَوَامِهِ».

واللهُ ﷻ يُحِبُّ الْمُتَأَخِّينَ في ذاته المُتَوَادِّينَ على طاعته؛ يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ^(٢) مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا^(٣) عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ؛ بَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ» رواه مسلم^(٤).

المَحَبَّةُ في الله مَحَبَّةٌ مَأْمُونَةٌ مَنْزُوعَةٌ مِنَ الْمَكْرِ، بعيدَةٌ عن الخيانة أو الخِذْلَانِ، لا تُخَشَى فيها الغوائلُ، مُتَوَارِيَةٌ عن المصالح الدُّنْيَوِيَّةِ، باقيةٌ ببقاء الله، وهو سبحانه حيٌّ لا يموت.

(١) (٢٣٧/٧).

(٢) أي: على قَارِعَةِ طَرِيقِهِ. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/٢٥٥).

(٣) أي: تقومُ عَلَيْهَا وتَسْعَى في صِلَاحِهَا وتَصِلُهَا. مشارق الأنوار (١/٢٧٨).

(٤) كتاب البرِّ والصِّلَةِ والآداب، باب في فضل الحبِّ في الله، رقم (٢٥٦٧)، من حديث أبي

الأخوة في الله عبادة ميسورة ممزوجة بالمتعة والأنس، تزداد بالإيمان والنصح وحفظ السر وإيصال النفع لأخيك وكف الضر عنه، وتصفو مودتها بصدق الحديث ونبد الحسد ومجانبة المكر أو النكايه، آية صدقها: الوفاء والأمانة والهدية؛ قال ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا» رواه البخاري في الأدب المفرد^(١).

كمال الإيمان مقيدها؛ قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه مسلم^(٢).

حقيقتها: جسد واحد تعدد فيه القلوب؛ قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ» رواه مسلم^(٣)، وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهَرِ» متفق عليه^(٤).

وإذا كان المؤمنون إخوة؛ أمروا فيما بينهم بما يوجب تالف القلوب واجتماعها، ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها.



- (١) باب قبول الهدية، (ص ٢٠٨)، رقم (٥٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٢) كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، رقم (٥٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٣) كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
- (٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

جَلِيسُ السُّوءِ

لَجَلِيسِ السُّوءِ تَأْثِيرٌ عَلَى الدِّينِ وَالسُّلُوكِ، وَالْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ، وَالطُّمُوحَاتِ؛ يَقُولُ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رواه أبو داود^(١).

وَمَضْرَعَةٌ فُرْنَاءُ السُّوءِ ظَاهِرَةٌ؛ وَلِضَرَرِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ حَذَّرَ الْإِسْلَامُ مِنْ مَصَاحِبَتِهِمْ، وَحَرَّمَ الْمُكْتَمَ مَعَهُمْ، وَأَوْجَبَ الْهَجْرَةَ إِلَى مُجْتَمَعِ صَالِحٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْغَالِبِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنَّا قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

وَطَبِيعَةُ الْبَشَرِ سُرْعَةٌ تَأْتُرُهُمْ بِمَنْ يُخَالِطُونَ؛ فَيَتَأَثَّرُونَ حَتَّى بِالْبَهِيمَةِ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي الْفَدَّادِينَ^(٢) أَهْلِ الْوَبْرِ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ» متفق عليه^(٣).

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فِي رِعَاةِ الْإِبِلِ الْكِبْرِ وَالْفَخْرَ وَالْخِيَلَاءَ، وَفِي

(١) كتاب الأدب، باب مَنْ يُؤَمَّرُ أَنْ يُجَالِسَ، رَقْم (٤٨٣٣)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الْفَدَّادُونَ هُمُ: الَّذِينَ تَعَلُّوا أَصْوَاتَهُمْ فِي حُرُوثِهِمْ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ. غَرِيبُ الْحَدِيثِ لَابْنُ الْجُوزِيِّ (٢/١٨٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، رقم (٣٣٠١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، رقم (٥٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رُعاة العنم السكينة والتواضع، فإذا كان الإنسان يتأثر ببهيمية لا عقل لها، ولا تفقه أنت مراد صوتها، مع الاختلاف في المأكَل والمشرب؛ فما ظنك بالإنسان الذي يبادلك الأحاديث، وتفقه قوله؛ بل قد يؤزك إلى هواه، ويؤين لك الشهوات، أليس حقيقاً بأن تتأثر به؟!

جليسُ السوء يُبعدك عن ربك، ويتتبع عثرتك، قريبُ منك في السرِّاء، بعيدُ عنك في الضراء، يلهث خلف ملذاته؛ فإذا حُلَّت بينه وبين ما يشتهي نبذك.

جليسُ السوء يضرُّك إلى آخر رمقٍ في حياتك، وإذا أردت أن تعرف حقيقة ذلك؛ فتأمل قصة عم النبي ﷺ أبي طالب - وهو يحضر - وبجانبه رفيقاً السوء؛ فإنه لما حضرت الوفاة أبا طالب جاءه رسولُ الله ﷺ، وعنده عبدُ الله بنُ أبي أمية وأبو جهل، فقال له النبي ﷺ: **«قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ أَحْجَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ - أي: لا تسلم؛ بل استمر على الكفر - فأعاد النبي ﷺ، فأعادا عليه، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله»** متفق عليه^(١).

فانظر إلى حرص الناصح المشفق على عمه، وهو على فراش الموت، يتمنى نجاته من النار، ورفيقاً السوء لم يرحمهما ضعف

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، رقم (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول: لا إله إلا الله، رقم (٢٤)، من حديث المسيب بن حذر.

المُحْتَضِر؛ بل جَلَسَا عنده يُلقِّنَانِه الكُفْرَ حتى فارق الحياة، وأيقنا أنه دخل النَّارَ مع عِلْمِهِمَا أَنَّهُمَا لو تَرَكَاه يموت على الإسلام لم يَضُرَّهُمَا؛ لأنَّهُ سيموت، ولكن هذا شأن رفیق السُّوء.

جَلِيسُ السُّوءِ ضَرَرُهُ مُتَجَدِّدٌ فِي صُورٍ شَتَّى؛ لذا شَبَّهه النَّبِيُّ ﷺ بِمَثَلِ الْكَبِيرِ^(١) الَّذِي يَنَالُكَ أَذَاهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسُّوءِ، كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ - أَي: يُعْطِيكَ -، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ - أَي: تَشْتَرِي مِنْهُ -، وَإِمَّا أَنْ تَحْدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ: إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَحْدَ رِيحاً حَيْثَنَّهُ» متفق عليه^(٢).

رَفِيقُ السُّوءِ ضَرَرُهُ ظَاهِرٌ لِلْجَمِيعِ، يَدْعُوكَ لِلْكَسَلِ عَنِ الْعِبَادَةِ وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَالْفُتُورِ عَنِ أَدَاءِ وَاجِبَاتِ حَيَاتِكَ، يُدْنِي هِمَّتَكَ الْعَالِيَةَ، لَا لِلْمَعَالِي يُعْلِيكَ، وَلَا عَنِ الدُّنْيَا يُجَافِيكَ.

جَلِيسُ السُّوءِ يَقِفُ أَمَامَ هِمَّتِكَ الْعَالِيَةَ، وَطُمُوحَاتِكَ السَّعِيدَةَ؛ بَلْ إِنَّ لَهُ تَأْثِيرًا حَتَّى عَلَى مَظْهَرِكَ الْخَارِجِيِّ؛ فَيُسيءُ إِلَى سَمْعَتِكَ وَمَكَانَتِكَ فِي الْمَجْتَمَعِ.

(١) كَبِيرُ الْحَدَّادِ: هُوَ الْآلَةُ الَّتِي يَنْفُخُ بِهَا الْحَدَّادُ عَلَى النَّارِ، وَيَكُونُ مِنْ جِلْدِ غَلِيظٍ. الْمَفَاتِيحُ فِي شَرْحِ الْمَصَابِيحِ (٢٣١/٥)، النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٢١٧/٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ، بَابُ الْمِسْكِ، رَقْمٌ (٥٥٣٤)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، وَمُجَانَبَةِ قُرْنَاءِ السُّوءِ، رَقْمٌ (٢٦٢٨)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِذَا مَا صَحِبْتَ الْقَوْمَ فَاصْحَبْ خِيَارَهُمْ
وَلَا تَصْحَبِ الْأَزْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِيِّ (١)

فاحذر رفيق السوء قبل أن تندم في الآخرة على مصاحبته ﴿وَيَوْمَ
يَعُضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَوَلِّتَنِي لَيْتَنِي لَمْ
أَتَّخِذْ فَلَانًا حَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، واعمل بوصية النبي ﷺ في اختيار
الصُّحْبَةِ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» رواه أبو
داود (٢).



(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص ١٦٥).

(٢) كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم (٤٨٣٢)، من حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه.

المُجْتَمَعُ لَا يَدْفَعُنِي لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ

بعض المُجْتَمَعَاتِ تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا؛ فَفَشَا فِي بَعْضِهَا الْكُذْبُ وَإِخْلَافُ الْوَعْدِ وَقَطِيعَةُ الرَّحْمِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْكَسْلُ عَنْ آدَاءِ الطَّاعَاتِ، وَعَدْمُ التَّوَرُّعِ عَنِ الشُّبُهَاتِ، وَتَنَافَسُ النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ، وَعَادَى النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ أَجْلِهَا، وَتَنَافَسُوا فِي مِيَادِينِهَا مَعَ غَفْلَةٍ جَلِيَّةٍ عَنِ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ.

وَاللَّهُ ﷻ سَاقَ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ، وَأَمَرَنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَالتَّأْسِي بِأَحْوَالِهِمْ فِيمَا لَمْ يَخَالَفِ شَرْعَنَا، فَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ فَذَكَرَ عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ الصَّالِحِ - زَكَرِيَّا وَابْنِهِ وَزَوْجِهِ - تَبَتُّلَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَمُسَابَقَتَهُمْ إِلَى فِعْلِ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَقَالَ: ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فَإِذَا رَأَيْتَ الْمُجْتَمَعَ يَمُوجُ فِي خِصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ بِإِخْلَافِ وَعُودِهِمْ؛ فَتَذَكَّرْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَى إِسْمَاعِيلَ ابْنِ خَلِيلِهِ ﷺ بِالْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ، فَقَالَ عَنْهُ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِنْبِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وَفِي حَالِ شُحِّ النَّاسِ بِأَمْوَالِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ خَلَّةِ الْكَرَمِ؛ فَتَذَكَّرْ

ما أخبر به سبحانه عن كرم إبراهيم عليه السلام حين رآه^(١) إلى أهله فجاء بعجلٍ سمينٍ حنيدٍ^(٢)، وقدمه لثلاثة أضيافٍ فقط، ونبينا محمد عليه السلام سأله رجلٌ مالاً؛ فأعطاه قِطِيعاً من الغنم بين جبلين^(٣).

وإذا تألمت من وقوع الانحراف في بعض المجتمعات، وقلة حياء بعض الناس، وسعي بعض الشباب إلى علاقاتٍ محرمة؛ فتذكر أن هناك من عباد الله من وهبه الله جمالاً ونسباً - والنساء يدعوونه إلى الفاحشة - ومع ذلك يمتنع منها؛ بل يُفضل السجن على الفاحشة، بل قد أدخل السجن لعدم استجابته؛ قال تعالى - عن يوسف عليه السلام - : ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودتهُ عن نفسه فاستعصم^٥ ولين لم يفعل ما أمره. ليسجنن^٦ وليكونا من الصغرين^٧﴾ [يوسف: ٣٢].

فاجعل رُسلَ الله عليهم السلام نبراسك في العفة والنزاهة، فسلامة عرض الشاب وانتصاره على الشهوات تاج على هامة رأسه.

وفي حال انفتاح الدنيا على بعض الناس، وجلب الخدم للنفس والدار، قد تأنف النفس بالكبر والخيلاء، فإذا أحسست ذلك من نفسك، فقل لها: يا نفس رويداً، إن أشرف الناس نسباً، وأجلهم

(١) أي: مال إليهم سراً. الصحاح (٤/١٣٢٠).

(٢) أي: مشوي. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٤٥٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سُئل رسول الله عليه السلام شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، رقم (٢٣١٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قَدْرًا، وَأَعْلَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً قَدْ حَلَبَ شَاتَهُ وَخَدَمَ نَفْسَهُ، وَخَصَفَ^(١) نَعْلَهُ^(٢)، وَنَامَ عَلَى الْحَصِيرِ حَتَّى أَثْرَ فِي جَنْبِهِ ﷺ^(٣).

وَفِي خِصَمِّ صَخَبِ الْحَيَاةِ الشَّاقَّةِ، وَكَثْرَةِ الْمَعَامَلَاتِ مَعَ خَلْقِ اللَّهِ، قَدْ يَصْدُرُ مِنْهُمْ - فِي حَقِّكَ - خَطَأٌ فِي الْأَقْوَالِ، أَوْ هَفْوَةٌ فِي الْأَفْعَالِ؛ فَلْتَنْصَعِ سَجَايَاكَ - حِينَئِذًا - بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَتَذَكَّرْ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ أُلْقِيَ فِي الْجُبِّ وَحِيدًا، وَفِي الْعُرْبَةِ فَرِيدًا، وَهُوَ حَدَثٌ صَغِيرُ السِّنِّ، وَمَعَ هَذِهِ الْمَكَائِدِ عَفَا عَمَّنْ فَعَلَ مَعَهُ الْعِظَائِمَ، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وَإِذَا رَأَيْتَ كَثْرَةَ الْعُقُوقِ مَنْتَشِرًا، وَعَدَمَ الْقِيَامِ بِحَقِّ الْوَالِدِينَ مُسْتَشْرِيًا؛ فَتَأَسَّ بِيُحْيَى ﷺ - فِي بَرِّهِ بِوَالِدَيْهِ -؛ قَالَ سَبْحَانَهُ مِثْنِيًّا عَلَيْهِ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].



(١) أَي: حَرَزَ. النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (٣٨/٢).

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ، رَقْمَ (٢٤٩٠٣)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ اللَّبَاسِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْجُو مِنْ اللَّبَاسِ وَالْبُسْطِ، رَقْمَ

(٥٨٤٣)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ فِي الْإِيْلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِ هُنَّ، رَقْمَ

(١٤٧٩)، مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

فَضْلُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

خيرُ الأعمالِ وأبرُّها عندَ الله: الدَّعوةُ إليه سبحانه، وقولُ الدَّاعي أحسنُ الأقوالِ في ميزانِ الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهي طريقة الأنبياء وأتباعهم؛ قال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكلُّ عملٍ يقوم به المُهتدي على يديك لك فيه نصيبٌ؛ يقول ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» رواه مسلم^(١).

والدَّعوةُ إلى الله من الأُسُسِ الَّتِي قام عليها هذا الدِّينُ، وهي سبيلُ النِّجاةِ، وربُّنا ذَكَرَ أَنَّ الإنسانَ خاسرٌ إِلَّا إذا أدَّى حقوقاً أربعة؛ هي: الإيمان بالله، والعملُ الصَّالح، والتَّواصي بالحقِّ، والصَّبْرُ على ذلك، وقد ذَكَرَها اللهُ تعالى في سورةٍ كاملة: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

فادْعُ إلى الله بحكمةٍ وأناةٍ ومَوْعِظَةٍ حَسَنَةٍ، ولا تتردَّدْ في دعوة

(١) كتاب الإمامة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، رقم (١٨٩٣)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

الآخرين، فإن رأيت تكاسلاً من أحد إلى الصَّلَاة فإرشأه إلى أدائها
دَعْوَةً، وتذكيرُ العاقِّ لوالديه بِعقابِ العقوقِ إرشأً، ومَوْعِظَةٌ قاطعِ
الرَّحِمِ نصيحةٌ.



أَحِبُّ الدَّعْوَةَ وَلَكِنِّي لَسْتُ بَلِيغًا، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟

البلاغةُ والفصاحةُ والبيانُ ليست شرطاً في الدَّعوةِ إلى الله؛ فكَلِمُ الرَّحْمَنِ موسى ﷺ ثَقُلَ لِسَانُهُ عَنِ الْبَيَانِ، وَسَأَلَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ مِنِّي لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧]، وَعَدُوهُ فِرْعَوْنُ سَخِرَ مِنْهُ وَقَالَ: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] أَي: لَا يُحْسِنُ الْكَلَامَ وَالْبَيَانَ فِي زَعْمِهِ (١).

ومع ذلك أَصْبَحَتْ أُمَّتُهُ أَكْثَرُ الْأُمَمِ أَتْبَاعاً بَعْدَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَبَلِّغْ بِمَا أُوتِيْتَهُ مِنْ عِلْمٍ وَفَصَاحَةٍ عَلَى قَدْرِ الْجَهْدِ وَالطَّاقَةِ، وَلَا يَكُنْ حَيَاؤُكَ مَانِعاً لَكَ عَنِ تَبْلِيغِ الْخَيْرِ لغيرِكَ.

والدَّعوةُ إلى الله ليست مُقْتَصِرَةً عَلَى مَوْعِظَةٍ عَلَى مِنْبَرٍ أَوْ نَصِيحَةٍ فِي مَحْفَلٍ؛ بَلْ إِنَّ الدَّعوةَ إِلَيْهِ مُتَنَوِّعَةٌ؛ فَالْإِنْكَارُ عَلَى الْفَرْدِ دَعْوَةٌ، وَدَعْمُ سُبُلِ الْخَيْرِ بِالْمَالِ دَعْوَةٌ، وَتَسْهِيلُ طُرُقِ الدَّعوةِ دَعْوَةٌ، وَبِهَذَا يُصْبِحُ الْمُجْتَمَعُ - عَلَى اخْتِلَافِ فِئَاتِهِ - دُعَاةً إِلَى اللَّهِ بِالْمَالِ، وَالْقَلَمِ، وَاللِّسَانِ.



(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٢).

النَّصِيحَةُ

الْخَلْقُ مَجْبُورُونَ عَلَى النَّقْصِ وَظُهُورِ الْمَعَايِبِ، وَأَصْلُ الدِّينِ مَبْنِيٌّ عَلَى النَّصْحِ لِلْخَلْقِ وَإِخْفَاءِ النَّقَائِصِ؛ قَالَ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» رواه مسلم (١).

وهي من قواعد إصلاح المجتمع، واتَّصَفَ بِهَا رُسُلُ اللَّهِ ﷺ فِي دَعْوَتِهِمْ لِأَقْوَامِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ عَنْ نُوحٍ ﷺ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وقال الله عن هُودٍ ﷺ: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وقال الله عن صَالِحٍ ﷺ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وكان الصَّحَابَةُ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يُبَايِعُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهَا؛ قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» متفق عليه (٢).

(١) كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، رقم (٥٥)، من حديث تميم الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النَّبِيِّ ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، رقم (٥٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، رقم (٥٦).

وَالنَّاصِحُ نَاصِعُ الْقَلْبِ، سَلِيمُ الصَّدْرِ، حَسَنُ السَّرِيرَةِ، مُشْفِقُ الْقَلْبِ، وَقَدْ عَلَتْ مَرْتَبَةُ السَّابِقِينَ بِهَا، قَالَ ابْنُ عَلِيَّةَ^(١) فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ»، قَالَ: «الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ: الْحُبُّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ»^(٢).

وَحُبُّ إِصْلَاحِ الْمَجْتَمَعِ بِالنُّصْحِ شَرَفٌ وَمِنْحَةٌ يُمْنٌ بِهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ؛ قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا بِسَخَاءِ النَّفْسِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ»^(٣).

وَهِيَ مِنْ أَجْلِ الْأَعْمَالِ؛ سُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: النَّصْحُ لِلَّهِ»^(٤).

وَمَا خَفِيَتِ النَّصِيحَةُ فِي مُجْتَمَعٍ إِلَّا ظَهَرَتْ فِيهِ الْغَيْبَةُ، وَلَا يَنْصَحُ لَكَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّكَ، وَلَتَكُنْ نَصِيحَةً الْمُسْتَفِيقِ عَلَى خِفَاءٍ؛ قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَكَانَ السَّلْفُ إِذَا أَرَادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ وَعَظُّهُ سِرًّا، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؛ فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ؛ فَإِنَّمَا وَبَّخَهُ»^(٥).

(١) هو: أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم، البصري، المشهور: بابن عليَّة؛ وهي أمه، ولد سنة (١١٠هـ)، وتوفي سنة (١٩٣هـ). سير أعلام النبلاء (١٠٧/٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٢٥/١).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠٣/٨).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢٢٥/١).

(٥) جامع العلوم والحكم (٢٢٥/١).

وَتَتَعَيَّنُ النَّصِيحَةُ لِمَنْ طَلَبَ مِنْكَ النَّصِيحَةَ؛ قَالَ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ - ذَكَرَ مِنْهَا - : وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَاَنْصَحْ لَهُ» رواه مسلم^(١).

ولتكن نصيحتك لأخيك محفوفةً بالشفقة والرأفة والمحبة والمودة وكمال النصح، بعيدة عن التشفى أو الحسد أو الفضيحة، وكلما كانت مُحاطةً بضوابط الشريعة كانت أبلغ في النفس وأشد في التأثير، وأسرع في التغيير.

ولا تتردد عن نصيحة أي شخص ولا تحقره، فقد يُغير الله أحواله بكلمات يسيرة ينساها قائلها بعد لحظات؛ ولكن لصدق قائلها يصبح لها أثر في فؤاد أخيك.



(١) كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، رقم (٢١٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ،
وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ

أَهْمِيَّةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

الأمرُ بالمعروفِ والنَّهْيُ عن المُنْكَرِ أصلٌ من أصولِ الشَّرِيعَةِ، وَمِنْ أَوْجَبِ قِوَاعِدِ الدِّينِ، وَهُوَ حِضْنُ الْإِسْلَامِ الْمَنْعِيُّ، يَحْجِزُ عَنِ الْأُمَّةِ الْفِتَنَ وَشُرُورَ الْمَعَاصِي، وَيَحْمِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَزَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَزَعَاتِ الْهَوَى.

وَهُوَ الْبِنَاءُ الْمَتِينُ الَّذِي تَتَمَاسَكَ بِهِ عُرَى الدِّينِ، يَحْفَظُ الْعِقَائِدَ وَالسُّلُوكَ وَالْأَخْلَاقَ، وَيَدْرَأُ الْمِحْنَ وَالرَّذَائِلَ، فِي الْقِيَامِ بِهِ صِلَاحُ الْأُمَّمِ، وَحِفْظُ النَّعْمِ، وَحُلُولُ الْأَمْنِ، وَإِجَابَةُ الدُّعَاءِ، وَصَرْفُ كَيْدِ الْأَعْدَاءِ مَعَ رَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ.

بِهِ تَنْمُو فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْأَدَابُ وَالْفَضَائِلُ، وَتَخْتَفِي الْمُنْكَرَاتُ وَالرَّذَائِلُ.



مَكَانَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

أَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا وَأَرْفَعُهُمْ شَرَفًا مَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ، ثُمَّ امْتَنَّ بِالْإِصْلَاحِ وَالْخَيْرِ عَلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ مِنْ أَخْصِّ صِفَاتِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ قَالَ ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذه الخلة جعلت هذه الأمة غُرَّةً^(١) في جبين الأمم، وتاجاً على علو هامها بينهم، وقد مدح الله المؤمنين القائمين بتلك الشعيرة؛ فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وجعل تركه من أبرز صفات المنافقين؛ فقال: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰلسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

القائم به مُتَصَدِّقٌ بلا مال؛ قال ﷺ: «وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ» رواه مسلم^(٢).

وهو عبادة جليلة يقوم بها العبد لتُمحى عنه ذنوبه وتُكفَّر عنه

(١) الغُرَّةُ: بياضٌ في جبهة الفرس. الصحاح (٢/٧٦٧).

(٢) كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يُقَعُّ على كلِّ نوعٍ من المعروف، رقم (١٠٠٦)، من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

خطاياها؛ قال ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ؛ يُكْفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» متفق عليه^(١).



(١) رواه البخاري، كتاب الصَّوم، باب الصَّوم كفارة، رقم (١٨٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعُودُ غريباً، رقم (١٤٤)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

الْحِكْمَةُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

اعلم أنه ليس كل أمرٍ أو نهْيٍ - تقوم به - يَجِبُ معه زوالُ المَحْذُورِ أو أداء الواجب، فزِمَامُ الاستقامة بيد الهادي ﷺ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الفصص: ٥٦]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

فالمُنْكَرُ قد يزول بالإنكار، وقد لا يزول، فلا تجعل نَصَبَ عَيْنِكَ - وَأَنْتَ تُقِيمُ هذه الشَّعِيرَةَ - إزالة المُنْكَرِ؛ فمن الخطأ أن تترك الأمرَ بالمعروف والنهْيَ عن المُنْكَرِ إذا لم يُزَلْ.

فالأمرُ بالمعروف والنهْيُ عن المُنْكَرِ يُقَامُ لثمراتٍ عديدةٍ:

منها: أنَّ المُسْلِمَ يُؤَدِّي بتلك الشَّعِيرَةَ عبادةً جليلاً هي من أجلِّ العبادات، وبأدائها يتقربُ العبدُ إلى ربِّه ويكونُ المرءُ مُتَّصِفاً بصفةٍ من صفات المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ومنها: أنه سبُّ تكفير الذُّنُوبِ والخطايا، وحِفظُ النِّعمِ، ومنعُ العذابِ من السَّمَاءِ، وبه يُدْفَعُ عن المجتمع شرُّ أعظم من المُنْكَرِ الواقع، وهو وسيلةٌ من وسائل إصلاح المجتمع والحفاظ على حِصْنِ

الإسلام، وبه تُحَجَزُ الأُمَّةُ عَنِ الفِتَنِ وتُحَمَى مِنَ الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ،
وفيه إِحْسَانٌ عَظِيمٌ لِلخَلْقِ، كُلُّ ذَلِكَ وَغَيْرُهُ مِنْ فَوَائِدِ إِنكَارِ المُنْكَرِ.

فَإِنَّ زَالَ المُنْكَرَ بِالإِنْكَارِ؛ فَهَذِهِ نِعْمَةٌ كَبْرَى، وَإِنْ لَمْ يُزَلْ المُنْكَرُ؛
فَقَدْ جَنَى العَبْدُ بِإِقَامَةِ تِلْكَ الشَّعِيرَةِ مَصَالِحَ عَدِيدَةٍ تَعُودُ عَلَى الفِرْدِ
والمَجْتَمَعِ بِالخَيْرَاتِ وَوُفُورِ النِّعَمِ، وَهَذَا مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ.

وَقَدْ بَيَّنَّ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَقَاصِدَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ
بِقَوْلِهِ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ تَارَةٌ يَحْمِلُ عَلَيْهِ
رَجَاءُ ثَوَابِهِ.

وَتَارَةٌ خَوْفُ العِقَابِ فِي تَرْكِهِ.

وَتَارَةٌ الغَضَبُ لِلَّهِ عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِهِ.

وَتَارَةٌ النِّصِيحَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالرَّحْمَةُ لَهُمْ، وَرَجَاءُ إِنْقَادِهِمْ مِمَّا
أَوْقَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِغَضَبِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ.

وَتَارَةٌ يَحْمِلُ عَلَيْهِ إِجْلَالُ اللَّهِ وَإِعْظَامُهُ وَمَحَبَّتُهُ، وَأَنَّهُ أَهْلٌ أَنْ يُطَاعَ
فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ»^(١).



(١) جامع العلوم والحكم (٢/٢٥٥).

الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤَدِّي؛ فَمَاذَا يَفْعَلُ؟

الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر مُعَرَّضٌ لِلأَذَى، فَمَنْ أَقَامَهُ
فَلَا يَسْتَوْحِشُ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِهِ؛ فَهُوَ عِبَادَةٌ أَدَاؤُهَا ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَارِ
الإيمان، وَلَيَجْعَلُ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ حِصْنًا مَكِينًا؛ وَاثِقًا بِالثَّوَابِ عَلَى مَا
يَتَلَقَّى مِنَ الْمَشَاقِّ.

قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا بُدَّ أَنْ
يَنَالَهُ مِنَ النَّاسِ أَدَى؛ فَأَمْرٌ بِالصَّبْرِ»^(١).

وَمِنْ وَصَايَا لِقْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِابْنِهِ: ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]،
فَأَمْرُهُ لِابْنِهِ بِالصَّبْرِ - بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ - إِشَارَةٌ
إِلَى أَنْ مَنْ أَدَى تِلْكَ الشَّعِيرَةَ قَدْ يُؤَدِّي.

وإِيَّاكَ وَأَهْلَ التَّخْذِيلِ، أَوْ الرُّكُونَ إِلَى الضَّعْفِ، وَقِفْ مَعَ الْبَلَاءِ
بِالإيمانِ وَالتَّوَكُّلِ، وَاصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، وَوَصِلِ الْجُهْدَ، وَخَاطِبِ النَّاسَ
عَلَى ضَوْءِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].



(١) تفسير ابن كثير (٦/٣٣٨).

أَضْرَارُ تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ - مَخَافَةَ الْمَخْلُوقِينَ - نَزَعَتْ مِنْهُ الطَّاعَةَ، وَزَالَتْ عَنْهُ الْمَهَابَةُ، فَاحْذَرِ الْمُدَاهَنَةَ^(١)؛ فَهِيَ بَابٌ مِنْ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ عَرِيضٌ، وَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَنْ قَلَاكَ^(٢)، وَلَا مَنْ فَارَقَكَ لِأَمْرِكَ أَوْ نَهْيِكَ لَهُ، واقْطَعْ أَطْمَاعَكَ مِنَ الْخَلْقِ، وَثِقْ بِكُفَايَةِ رَبِّ الْخَلْقِ. وَالْقِيَامُ بِهَذِهِ الشَّعِيرَةِ لَا يَقْطَعُ رِزْقًا، وَلَا يُقَرِّبُ أَجَلًا، وَتَرَكَ هَذِهِ الشَّعِيرَةَ إِذَا نَبَسَخَطِ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه^(٣): «مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبَهُ الْمَعْرُوفَ، وَيُنْكَرْ قَلْبَهُ الْمُنْكَرَ؛ نَكِسَ^(٤)، فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ»^(٥).

وَمَنْ تَرَكَ هَذِهِ الْعِبَادَةَ اسْتَخَفَّ بِهِ أَهْلُ الْعِصْيَانِ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ بِمَا يُضَادُّ الشَّرِيعَةَ.



(١) هي: أَنْ تَرَى مُنْكَرًا وَتَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ وَلَا تَدْفَعُهُ؛ حِفْظًا لِجَانِبِ مُرْتَكِبِهِ، أَوْ جَانِبِ غَيْرِهِ. التعريفات (ص ٢٠٧).

(٢) أي: أَبْغَضَكَ. لسان العرب (١٥/١٩٨).

(٣) هو: أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ابن عم رسول الله ﷺ، أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، قتلَه ابن مُلْجَم سنة (٤٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/١٠٨٩).

(٤) أي: قَلْب. الصحاح (٣/٩٨٦).

(٥) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/٢٨٢).

هَلْ أَنْكَرَ الْمُنْكَرَ وَأَنَا أَفْعَلُ الْمَعْصِيَةَ؟

تَرَكَ الذَّنْبَ لَيْسَ شَرْطاً فِي النَّاهِي؛ بَلْ يَنْهَى الْعُصَاةَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ - وَإِنْ لَمْ يَمْتَثِلْهُ -، وَيَلْزَمُهُ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ - وَإِنْ ارْتَكَبَهُ -، وَتَبَقَى ثُلْمَةٌ^(١) مَخَالَفَةُ الْفِعْلِ الْقَوْلِ، يَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢): «إِنِّي لَأَمْرُكُم بِالْمَعْرُوفِ وَمَا أَفْعَلُهُ، وَلَكِنْ لَعَلَّ اللَّهَ يَأْجُرُنِي فِيهِ»^(٣).

فَمَنْ كَانَ يَسْتَمِعُ إِلَى الْأَغَانِي - وَرَأَى رَجُلًا يَسْتَمِعُ إِلَيْهَا - وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِ سَمَاعَهُ لَذَلِكَ الْمُحَرَّمِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَكَتَ عَنِ الْمُنْكَرِ جَمَعَ بَيْنَ مُحَرَّمَيْنِ: الْأَوَّلِ: اسْتِمَاعُهُ لِلْأَغَانِي، وَالثَّانِي: السُّكُوتُ عَنِ ذَلِكَ الْمُنْكَرِ، وَعَدَمُ إِنْكَارِهِ.

وَمَنْ رَأَى ذَا مُنْكَرٍ وَلَمْ يَنْهَهُ؛ فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَيْهِ بِالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ، وَالسُّكُوتُ عَنِ الذَّنْبِ تَزْيِينٌ لِلْمَعْصِيَةِ فِي الصُّدُورِ، وَمُجَانِبَةٌ الْمُنْكَرِ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ فِي الْقَلْبِ.



(١) أي: ثَغْرَةٌ. لسان العرب (٧٩/١٢).

(٢) هو: أبو الدَّرْدَاءِ عُوَيْمِرُ بْنُ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، شَهِدَ مَا بَعْدَ أُحُدٍ مِنَ الْمَشَاهِدِ، تَوَفَّى فِي خِلَافَةِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٦٤٦/٤)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (١٨/٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٤٥/٢).

كَيْفَ أَنْكَرُ الْمُنْكَرَ؟

الْمُنْكَرُ يَنْقَسِمُ إِنْكَارُهُ إِلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الإِنْكَارُ بِالْيَدِ، وَذَلِكَ حَالُ الْقُدْرَةِ عَلَى إِزَالَتِهِ؛ كَالزَّوْجِ فِي دَارِهِ يُزِيلُ الْمُنْكَرَ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: الإِنْكَارُ بِاللِّسَانِ، وَذَلِكَ فِي حَالِ تَعَدُّرِ الإِنْكَارِ بِالْيَدِ، كَمَنْ يَرَى امْرَأَةً مُتَبَرِّجَةً فِي الْأَسْوَاقِ؛ فَهَذَا يُنْكَرُ عَلَيْهَا بِاللِّسَانِ بِالْحِكْمَةِ.

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: الإِنْكَارُ بِالْقَلْبِ، وَذَلِكَ فِي حَالِ تَعَدُّرِ الإِنْكَارِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ، وَهَذِهِ أضعَفُ دَرَجَاتِ الإِنْكَارِ، وَإِنْكَارُ الْخَطِيئَةِ بِالْقَلْبِ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، لَا يَسْقُطُ عَنْ أَحَدٍ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

يقول ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضعَفُ الإِيمَانِ» رواه مسلم^(١).

قال ابن رَجَبٍ رحمته الله: «إِنْكَارُهُ بِالْقَلْبِ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَمَنْ لَمْ يُنْكَرْ قَلْبُهُ الْمُنْكَرَ؛ دَلَّ عَلَى ذَهَابِ الإِيمَانِ مِنْ قَلْبِهِ»^(٢).

(١) كتاب الإيمان، باب النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٢٤٥).

وقال شيخ الإسلام رحمته الله: «الْقَلْبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَرَاهَةٌ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ؛ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الثَّوَابَ.

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مِنَ الْإِيمَانِ)^(١) أَي: مِنْ هَذَا الْإِيمَانِ - وَهُوَ الْإِيمَانُ الْمُطْلَقُ -؛ أَي: لَيْسَ وَرَاءَ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَا هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ وَلَا قَدْرُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ.

وَالْمَعْنَى: هَذَا آخِرُ حُدُودِ الْإِيمَانِ، مَا بَقِيَ بَعْدَ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ؛ لَيْسَ مُرَادُهُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ^(٢).

وَالْمُنْكَرُ يُزَالُ بِالْحِكْمَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ، وَعَدَمِ الْوُقُوعِ فِي مُنْكَرٍ أَوْ مَفْسَدَةٍ أَعْظَمَ مِنْهُ.



(١) يَفْصِدُ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَفِيهِ: «ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرَدَلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رَقْمٌ (٥٠).

(٢) مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ (٥٢/٧).

مَآذَا أَصْنَعُ مَعَ أَهْلِ الْمَعَاصِي؟

لا تَتَزَعَّزِعْ عن هداية الخلق ولو كثر الانحراف، ولا تَيَأَسْ عن السَّيْرِ في دعوتك فَهُمُ بِحاجتك، وأيقِنُ - دوماً - بأنَّ الذَّلَّةَ مُحِيطَةٌ بأهل المعاصي، ولو تَظَاهَرُوا بِالْعِزَّةِ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوَجَلَ سِينَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

فأهل المعاصي دائرٌ عليهم لباس الذَّلَّةِ كلُّ بِحَسَبِ عِضْيَانِهِ؛ يقول ﷺ: «**وَجِعَلِ الذُّلَّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**» رواه أحمد^(١)، وأهل الطَّاعَةِ هم أهل العِزَّةِ، وبِقَدْرِ طَاعَتِكَ تَعْتَزُّ؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

فَأَنْتَ العَزيزُ في مُجْتَمَعِكَ، فاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ ابْتُلِيَ بِمَعْصِيَةٍ؛ بدعوته بِحِكمَةٍ وِلِينٍ وَرَوِيَّةٍ، وعدمِ احْتِقَارٍ لَهُ، مع كَثْرَةِ الدُّعَاءِ لَهُ بِالهداية؛ فبِحُسْنِ الخُلُقِ مع الدَّعْوَةِ تَكسِبُ القلوب.



(١) في المسند، رقم (٥٦٦٧)، من حديث ابن عُمرٍ رضي الله عنهما.

لَا تَيَأْسُ مِنْ نُصْحِ صَاحِبِ الْمُنْكَرِ

اطْرُقْ بَابَ قَلْبِ الْعَاصِي مِرَاراً؛ فَلَا تَعْلَمْ مَتَى يَفْتَحُ اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى يَدَيْكَ، فَنُوحُ ﷺ مَكَثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً وَهُوَ يَدْعُو قَوْمَهُ غَيْرَ يَأْسٍ مِنْ دَعْوَتِهِمْ، فَمَتَى رَأَيْتَ ذَا مَنْكَرٍ عَلَى مَعْصِيَةِ فَبَادِرْهُ بِالنَّصِيحَةِ بِحِكْمَةٍ وَلِينٍ، وَلَا تُرْجِئِ النَّصِيحَةَ؛ فَقَدْ يَلْقَى الْمُقْصِرُ رَبَّهُ وَهُوَ عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَأَنْتَ لَمْ تُبَدِّ لَهُ النُّصْحَ؛ فَتَتَحَسَّرَ عَلَى تَقْصِيرِكَ.



الصَّبْرُ عَلَى الْمُسْتَهْزِئِينَ

الهداية منحة من الكريم لا تُسدى لكلِّ أحدٍ، وَسُنَّةُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ابْتِلَاءٌ مَنْ تَمَسَّكَ بِهَذَا الدِّينِ؛ لِتَمَحِيصِ الصَّادِقِ فِي الْاسْتِقَامَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وَرُسُلُ اللَّهِ سَخِرَ أَقْوَامُهُمْ مِنْهُمْ؛ قَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ نُوحٍ: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ كُلَّ رَسُولٍ يُبْعَثُ يُبْهَتُ بِالسَّحْرِ، وَيُرْمَى بِالْجُنُونِ سُخْرِيَةً مِنْهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذٰلِكَ مَا آتٰى الْاٰلِئْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا قَالُوْا سٰحِرٌ اَوْ اٰجْنُوْنٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

وَالصَّحَابَةُ سُخِرَ مِنْهُمْ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ * وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٣٠-٣١].

فَالسُّخْرِيَةُ مِنَ الْمَصْلُحِينَ سُنَّةٌ جَارِيَةٌ؛ فَمَنْ اسْتَهْزَأَ بِاسْتِقَامَتِكَ، أَوْ إِرْحَاءِ لِحَيْتِكَ، أَوْ تَطْبِيقِ السُّنَّةِ فِي مَلْبَسِكَ؛ فَلَا تَحْزَنْ، فَإِنَّ دَافِعَهُ الْهُوَى أَوْ الْجَهْلُ، وَالسَّاخِرُ فِي عُمُقِ نَفْسِهِ يَتَمَنَّى الْهَدَايَةَ وَلَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا؛ قَالَ سُبْحَانَهُ عَنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، بَلْ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ هُوَ مَا سَلَكَتَهُ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وإذا سُخِرَ منك فالزِمَ ما لَزِمَهُ الأنبياءُ؛ من الصَّبْرِ والعَفْوِ والحِلْمِ والأناة، والإِعْرَاضِ عَمَّنْ آذَاكَ؛ قال سبحانه لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهْلُ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال ﷺ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِنْدِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَا لَهُمُ الْحَقَّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وقال ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وإذا سُخِرَ منك فالزِمَ الصَّبْرَ، ولا تُحْبِطِ العَمَلَ بالجَزَعِ أو الهَلَعِ على تَمَسُّكِكَ بهذا الدِّينِ.



لَا تَضَعُفُ

قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِي سُنَّهِ أَنْ ذَوِي الْعَصِيانِ أَكْثَرُ عَدَدًا مِمَّنْ يُطِيعُ الرَّحْمَنَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وَيَقُولُ ﷺ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

فَإِذَا رَأَيْتَ أَنَّ أَهْلَ الْمَعَاصِي هُمُ الْكَثْرَةُ الْغَالِبَةُ؛ فَلَا يَكُنْ هَذَا صَادِقًا لَكَ عَن تَمَسُّكِ بِهَذَا الدِّينِ، وَانظُرْ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْعَدَدِ مِنَ الْأَشْخَاصِ، فَاللَّهُ وَصَفَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ بِأَنَّهُ أُمَّةٌ - وَهُوَ وَحْدَهُ -؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وَابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «أَنْتَ أُمَّةٌ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ»^(١).

وَكَثْرَةُ الْإِنْحِرَافِ تَدْعُوكَ لِلتَّمَسُّكِ بِدِينِكَ، لَا الضَّعْفِ فِي التَّمَسُّكِ بِهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُوكَ إِلَى شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، بِأَنْ اصْطَفَاكَ لِلهُدَايَةِ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ، وَأَضَلَّ غَيْرَكَ، مِمَّا يُوحِي إِلَيْكَ بِتَذَكُّرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ وَالْمِنْحَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْجَلِيلَةِ عَلَيْكَ.

وَهَذَا مِمَّا يَزِيدُكَ هُدَايَةً وَدَعْوَةً لِغَيْرِكَ؛ يَقُولُ الْفُضَيْلُ بْنُ

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٢١)، رقم (١٦٠).

عِيَاضَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَغْتَرَّ بِالْبَاطِلِ لِكثْرَةِ الْهَالِكِينَ، وَلَا تَسْتَوْحِشْ مِنَ الْحَقِّ لِقَلَّةِ السَّالِكِينَ»^(١).

فإذا سَلَكْتَ طريقَ الحقِّ، فاعلم أَنَّ الخَلْقَ يَودُّونَ أَنَّهُم على الحقِّ مثلك، ولكن الهداية لا تتحقَّق بالأمني، فاحمد الله أن مَنْ عَلَيْكَ بالاستقامة.



(١) الأذكار للنووي (ص ١٠٨).

الصَّبْرُ

الأنبياءُ والابتلاءُ

بالابتلاء يُرْفَعُ شَأْنُ الْأَخْيَارِ، وَيَعْظُمُ أَجْرُ الْأَبْرَارِ، يَقُولُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلِأَمْثَلِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ؛ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ؛ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ فِي الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رواه أحمد ^(١).

وطريق الابتلاء مَعْبَرٌ شاقٌّ، تَعَبَ فِيهِ آدَمُ، وَرُمِيَ فِي النَّارِ الْخَلِيلُ، وَأُضْجِعَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيلُ، وَأُلْقِيَ فِي بطنِ الْحَوْتِ يُونسُ، وَقَاسَى الضَّرَّ أَيُّوبُ، وَبِيعَ بِثَمَنِ بَحْسِ يُوسُفَ، وَأُلْقِيَ فِي الْجُبِّ إِفْكَاءً، وَفِي السَّجَنِ ظُلماً، وَتَعَرَّضَ لِأَنْوَاعِ الْأَذَى نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمِيعاً، وَأَنْتَ عَلَى سُنَّةِ الْإِبْتِلَاءِ سائرٌ.

والمؤمن يُبْتَلَى لِيُهْذَبَ لَا لِيُعَذَّبَ، وَالْمُصِيبَةُ حَقًّا إِنَّمَا هِيَ الْمَصِيبَةُ فِي الدِّينِ، وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْمَصَائِبِ فَهِيَ عَافِيَةٌ، فِيهَا رَفْعُ الدَّرَجَاتِ وَحِطُّ السَّيِّئَاتِ، فَلَا تَأْسَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا، فَنَوَازِلُهَا أَحْدَاثٌ، وَأَحَادِيثُهَا غُمُومٌ، وَطَوَارِقُهَا هُمُومٌ، فَالْأَنْبِيَاءُ لَمَّا ابْتُلُوا صَبَرُوا، فَاصْبِرْ - أَيُّهَا الْمُبْتَلَى - كَمَا صَبَرَ صَفْوَةُ الْبَشَرِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَحْشُرَكَ مَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

(١) في المسند، رقم (١٤٨١).

الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ

المَرءُ في حياته مَعْرَضٌ لِلْفِتَنِ والرَّزَايا، والمِحَنِ والبَلَايا، ولا يَنْصَعُ نور الإيمان وَيَرْسَخُ اليقين إِلَّا بالْتَمَحِيصِ والابتلاء.

والحياة مَبْنِيَّةٌ عَلَى المَشاقِّ ورُكُوبِ الأخطار، ولا يَطْمَعُ أَحَدٌ أَنْ يَخْلَصَ مِنَ المِحْنَةِ والأَلَمِ؛ ولكن ما بين مُقِلٍّ ومُسْتَكْثِرٍ؛ قال ابن الجَوْزِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ يُرِيدُ أَنْ تَدُومَ لَهُ السَّلَامَةُ، وَالنَّصْرُ عَلَى مَنْ يُعَادِيهِ، وَالْعَافِيَةُ مِنْ غَيْرِ بَلَاءٍ، فَمَا عَرَفَ التَّكْلِيفَ وَلَا فَهَمَ التَّسْلِيمَ»^(١).

ولا بُدَّ مِنَ حصولِ الأَلَمِ لكلِّ نَفْسٍ - سواءً آمَنْتَ أم كَفَرْتَ -، والابتلاءات يَتَبَيَّنُ بها الصَّادِقُ مِنَ الكاذبِ؛ قال سبحانه: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَأَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وما الابتلاءُ إِلَّا عكس المقاصد وخلاف الأمانى، والدُّنيا لا تَصْفُو لأحدٍ - ولو نال منها ما عساه أن ينال -؛ يقول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» رواه البُخاريُّ^(٢).

والمَرءُ يَتَقَلَّبُ في زمانه؛ في تَحَوُّلٍ مِنَ النِّعَمِ، واستقبالٍ لِلْمِحَنِ، قال ابن القَيِّمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ خَلَقَهُ اللهُ لِلْجَنَّةِ لَمْ تَزَلْ هَدَايَاها تَأْتِيهِ مِنَ المَكَّارِهِ، وَمَنْ خَلَقَهُ لِلنَّارِ لَمْ تَزَلْ هَدَايَاها تَأْتِيهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ»^(٣).

(١) صيد الخاطر (ص ٣٠٢).

(٢) كتاب المرضي، باب ما جاء في كَفَّارة المرض، رقم (٥٦٤٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) الفوائد (ص ٣٢).

وَالْمُؤْمِنُ الْحَازِمُ يَثْبُتُ لِلْعِظَائِمِ، وَلَا يَتَغَيَّرُ فُؤَادُهُ، وَلَا يَنْطِقُ
بِالشَّكْوَى لِسَانُهُ، وَكَتْمَانُ الْمَصَائِبِ وَالْأَوْجَاعِ مِنْ شِيمِ النُّبَلَاءِ، وَمَا
هَلَكَ الْهَالِكُونَ إِلَّا مِنْ نَفَادِ الْجَلَدِ.

فَخَفِّفِ الْمُصَابَ عَنْ نَفْسِكَ بِوَعْدِ الْأَجْرِ وَتَسْهِيلِ الْأَمْرِ؛ لِتَذْهَبَ
الْمِحْنُ بِلا شَكْوَى، وَتَذَكَّرُ - دَوْمًا - أَنَّهُ مَا مَنَعَكَ إِلَّا لِتُعْطَى، وَلَا
ابْتِلَاكَ إِلَّا لِتُعَافَى، وَلَا امْتَحَنَكَ إِلَّا لِتُصَفَّى.



كَيْفَ تَهُونُ عَلَيَّ الْمُصِيبَةُ؟

يقول ابن الجوزي رحمته الله: «لَيْسَ فِي التَّكْلِيفِ أَصْعَبُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْقَضَاءِ، وَلَا فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الرِّضَا بِهِ»^(١).

وَمَنْ تَأَمَّلَ بَحَرَ الدُّنْيَا، وَعَلِمَ كَيْفَ يَتَلَقَّى الْأَمْوَاجَ، وَكَيْفَ يَصْبِرُ عَلَى مُدَافَعَةِ الْأَيَّامِ؛ لَمْ يَتَهَوَّ نَزْوَلَ بِلَاءٍ، وَلَمْ يَفْرَحْ بِعَاجِلِ رِخَاءٍ، فَلَا تَتَأَلَّمُ عَلَى فَوَاتِ حُظُوظِ الْحَيَاةِ، وَأَنْزَلَ مَا أَصَابَكَ مِنْ ذَلِكَ - ثُمَّ انْقَطَعَ - مَنْزِلَةً مَا لَمْ يُصَبْ، وَأَنْزَلَ مَا طَلَبْتَ مِنْ ذَلِكَ - ثُمَّ لَمْ تُدْرِكْهُ - مَنْزِلَةً مَا لَمْ يُطَلَبْ.

يقول ابن القيم رحمته الله: «قَالَ لِي شَيْخُ الْإِسْلَامِ رحمته الله مَرَّةً: الْعَوَارِضُ وَالْمِحْنُ هِيَ كَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، فَإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُمَا؛ لَمْ يَعْصَبْ لَوُرُودِهَا، وَلَمْ يَغْتَمَّ لِذَلِكَ، وَلَمْ يَحْزَنْ»^(٢).

فَطَوَارِقُ الْحَيَاةِ هُمُومٌ، وَالنَّاسُ فِيهَا مُعَذَّبُونَ عَلَى قَدْرِ هَمِّهِمْ بِهَا، الْفَرَحُ بِهَا هُوَ عَيْنُ الْمَحْزُونِ عَلَيْهِ، آلِمُهَا مُتَوْلِدَةٌ مِنْ لَذَائِهَا، وَأَحْزَانُهَا مِنْ أَفْرَاحِهَا؛ يَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا»^(٣).

(١) صيد الخاطر (ص ١٠٧).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٦١).

(٣) البيان والتبيين (١/ ٢٢٠).

فَأَيِّقِنُ بِقَدَرِ اللَّهِ وَخَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَاصْبِرْ عَلَى بَلَائِهِ وَحُكْمِهِ،
وَاسْتَسْلِمْ لِأَمْرِهِ؛ فَالدُّنْيَا طَافِحَةٌ بِالْأَنْكَادِ وَالْأَكْدَارِ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمَشَاقِّ
وَالْأَهْوَالِ؛ قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١): «وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ كَثِيرًا مَا يَتَمَثَّلُ
بِهَذَا الْبَيْتِ:

بَيْنَا يُرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يُرَى خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
طَبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ^(٢)
وَكُنْ مُؤْمِنًا بِالْأَقْدَارِ؛ فَالْإِيمَانُ بِهَا رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ، وَلَيْسَ
كُلُّ مَا يُتَمَنَّى يُدْرَكُ، وَبِالْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ تُفْتَحُ
الْأَبْوَابُ، وَيَتَحَقَّقُ الْمَرْغُوبُ، وَأَجْمَعُ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ تَكُنْ
أَغْنَاهُمْ، وَلَا تَقْنَطْ فَتُخْذَلْ، وَتَذَكَّرْ كَثْرَةَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَادْفَعْ الْحُزْنَ
بِالرِّضَا بِمَحْتُومِ الْقَضَاءِ، فَطُولُ اللَّيْلِ - وَإِنْ تَنَاهَى - فَالصُّبْحُ لَهُ
انْفِلَاجٌ، وَآخِرُ الْهَمِّ أَوَّلُ الْفَرْجِ، وَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ يَزْهُو نَحْوُكَ الْفَرْجُ،
وَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ إِلَّا أَتَاهُ الْمَخْرُجُ.



(١) هو: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، المقدسي الحنبلي، ولد
سنة (٧٠٧هـ)، وتوفي سنة (٧٦٣هـ). المقصد الأرشد (٢/٥١٧)، السحب الوابرة
(٣/١٠٨٩).

(٢) الآداب الشرعية (٢/٢٤٧).

طَلَبُ الْعِلْمِ (١)

(١) وفي كتابنا: «أَسْهَلُ طَرِيقَةٍ لِحَفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ» تَفْصِيلٌ لِهَذَا الْمَبْحَثِ.

المُحَافَظَةُ عَلَى الوَقْتِ

الأيَّامُ أجزاءٌ من العمر، ومراحلٌ من الطَّريق، تَفْنَى يوماً بعد يوم، ومُضِيَّها استِنْفَادٌ للأعمار، واستِكْمالٌ للآثار، وقُرْبٌ من الآجال، وغَلَقٌ لخزائن الأعمال، والشَّابُّ الحاذِقُ يَغْنَمُ زهرةَ شبابه في حِفْظِ القرآن والمُتُون، وحضورِ دُرُوسِ العُلَماء، وقِراءةِ الكتب، والعبادة؛ عملاً بوَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ**» رواه مسلم^(١)، وما نَبَغَ مَنْ نَبَغَ من العُلَماءِ إِلَّا بِمُحَافَظَتِهِمْ عَلَى أعمارهم - بحفظِ زمانهم -، وصُحْبَةِ صالحَةٍ أعانتهُم على طاعة ربِّهم.



(١) كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة، وترك العجز، والاستعانة باللَّهِ، وتفويض المقادير لله، رقم (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَضْلُ الْعِلْمِ

الْعِلْمُ أَفْضَلُ مُكْتَسَبٍ، وَأَشْرَفُ مُنْتَسَبٍ، وَأَنْفَسُ ذَخِيرَةٍ تُقْتَنَى، وَأَطْيَبُ ثَمَرَةٍ تُجْتَنَى، وَمَا اِكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مِثْلَ عِلْمٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هَدْيٍ، أَوْ يَرُدُّهُ عَنِ رَدْيٍ؛ يَقُولُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١): «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ»^(٢).

وهو ميراث النبوة؛ كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، وَمَنْ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَقَدْ اصْطَفَاهُ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا؛ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه^(٣).

طَلَبُ الْعِلْمِ وَالِاسْتِزَادَةُ مِنْهُ شَرَفٌ لَا يُضَاهَى، وَفَضْلٌ لَا يُحَدُّ، ثَمَرَاتُهُ مَعْجَلَةٌ، وَقُطُوفُهُ دَانِيَةٌ، طَالِبُهُ مَنْظُومٌ فِي سِلْكِ الْعِظْمَاءِ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وَلَا أَنْفَعَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - لِلْعَبْدِ مِنَ التَّحَضُّنِ بِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ.

(١) هو: أبو مُحَمَّد سفيان بن عُيَيْنَةَ بن أبي عمران ميمون الهلالي، وُلِدَ سَنَةَ (١٠٧هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (١٩٨هـ). سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ (٨/٤٥٤).

(٢) مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ وَمَنْشُورُ وَايَةِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ (١/٧١).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْاِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ» وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، رَقْمٌ (٧٣١٢)، وَمُسْلِمٌ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، رَقْمٌ (١٠٣٧)، مِنْ حَدِيثِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

سلوكٌ طَريقُه تَوفيقٌ للخُلُودِ في الجَنانِ، والملائكةُ لمُجالِسةِ أهلهِ راغبونَ، والخلقُ عنهم راضونَ، ولصَنيعِهِم مُستَغفِرُونَ.

العُقلاءُ مُطَبِّقونَ على تعظيمِ العِلْمِ والحَثِّ على تحصيلِهِ، وقد رفعَ اللهُ بالعِلْمِ أقواماً، فجعلَهُم في الخَيْرِ قَادَةً؛ فكم مِنْ وَضِيعٍ رَفَعَهُ العِلْمُ إلى مَصَافِّ الشُّرفاءِ! وكم مِنْ حَقِيرٍ عندِ النَّاسِ نَظَّمَهُ العِلْمُ في سِلْكِ العُظَماءِ!

تَحَبُّ الملائكةِ مُجالِسةِ أهلهِ، وبأجْنحتِها تَحفُّهُم، وَمَنْ في السَّمواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ مُستَغفِرُ لَهُم؛ يَقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَريقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً؛ سَلَكَ اللهُ بِهِ طَريقاً إلى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها رِضاً لِمَطالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العالِمَ لَيَسْتَغفِرُ لَهُ مَنْ في السَّمواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ حَتَّى الحِيتانُ في المَاءِ، وَفَضْلُ العالِمِ على العابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ على سائِرِ الكواكِبِ، إِنَّ العُلَماءَ هُم وَرَثَةُ الأنبياءِ، إِنَّ الأنبياءَ لَمْ يُورَثوا دِيناراً ولا دِرهماً؛ وَإِنما وَرَثوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ» رواه أبو داود^(١) وَالتِّرْمِذِيُّ^(٢).



(١) كتاب العِلْمِ، باب الحَثِّ على طلبِ العِلْمِ، رقم (٣٦٤١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
 (٢) كتاب العِلْمِ، باب ما جاء في فضلِ الفقه على العبادة، رقم (٢٦٨٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

فَوَائِدُ الْعِلْمِ

الْعُلُومُ النَّافِعَةُ تُصْلِحُ الْعِقَائِدَ، وَتُرَكِّي النُّفُوسَ، وَتُهَذِّبُ الْأَخْلَاقَ، وَتَكُونُ بِهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ مُثْمِرَةً الْخَيْرَاتِ، وَالْعِلْمُ هُوَ الْأَيْسُّ فِي الْوَحْدَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْخَلْوَةِ، وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ عِبَادَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَاتِ؛ يَقُولُ بَشْرُ الْحَافِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ»^(١).

مَنْ غَرَسَ الْعِلْمَ اجْتَنَى النَّبَاهَةَ، وَمَنْ غَرَسَ الْوَقَارَ اجْتَنَى الْمَهَابَةَ.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢): «لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَائِدَةِ الْعِلْمِ وَالِاشْتِعَالِ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ يَقْطَعُ الْمُشْتَغِلُ بِهِ الْوَسَاوِسَ الْمُضْنِيَّةَ، وَمَطَارِحَ الْأَمَالِ الَّتِي لَا تُفِيدُ غَيْرَ الْهَمِّ، وَكِفَايَةَ الْأَفْكَارِ الْمُؤْلِمَةِ لِلنَّفْسِ؛ لَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ دَاعٍ إِلَيْهِ، فَكَيْفَ وَلَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ؟»^(٣).



(١) شرف أصحاب الحديث (ص ٨٢).

(٢) هو: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، وُلد سنة (٣٨٤هـ)، وتوفي سنة (٤٥٦هـ). بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (٤١٥)، سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨).

(٣) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٢١).

تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَكَرَّمَ اللَّهُ عَلَى قَارِئِ الْقُرْآنِ بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الْم﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» رواه الترمذي^(١).

وتلاوة القرآن من أسباب الثبات؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أُنزِلَ مُنْجَمًا^(٢) فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ، وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ؛ لِتَثْبِيتِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ»^(٣).

وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لِأَهْلِهِ يَوْمَ الدِّينِ، وَشَافِعٌ مُشَفَّعٌ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْرُؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» رواه مسلم^(٤).



(١) أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، رقم (٣١٧١)، من حديث عبد الله بن مسعود رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أي: مفروقاً. تاج العروس (٤٧٩/٣٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١٠٩/٦).

(٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم (٨٠٤)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَحِمَهُ اللَّهُ.

حِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

حَافِظُ الْقُرْآنِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ؛ مَعَ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ» متفق عليه (١).

وَوَصِيَّةُ الْعُلَمَاءِ: حِفْظُ كِتَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ؛ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِيَنْظُرَ مَا يَحْفَظُ مِنَ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَ عَزِيزٌ، وَالْعِلْمَ غَزِيرٌ، وَإِنْ أَقْوَامًا يَصْرِفُونَ الزَّمَانَ إِلَى حِفْظِ مَا غَيْرُهُ أَوْلَى مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ الْعُلُومِ حَسَنًا؛ وَلَكِنَّ الْأَوْلَى تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ وَالْأَفْضَلِ؛ وَأَفْضَلُ مَا تُشْغَلُ بِهِ حِفْظُ الْقُرْآنِ» (٢).

وَكَبِرُ السِّنِّ لَا يَمْنَعُ مِنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ، فَنُزُولُ الْوَحْيِ اكْتَمَلَ وَعُمُرُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاحِدٌ وَسِتُّونَ عَامًا، وَمَعَ ذَلِكَ حَفِظَ كَامِلَ الْقُرْآنِ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ حَفِظُوا الْقُرْآنَ كُلَّهُ» (٣)، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ حَمُوَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ (٤) حَفِظَ الْقُرْآنَ،

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَنَأْوِنُ الْفُؤَادَ﴾ زُمرًا، رقم (٤٩٣٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يَتَعَتَّقُ فِيهِ، رقم (٧٩٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) صيد الخاطر (ص ١٩٣).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١٩١/٢).

(٤) هو: أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ، ابْنُ حَمُوَيْهِ، الْجُوَيْنِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ (٥٦٦هـ)، وَتُوفِيَ سَنَةَ (٦٤٢هـ). سير أعلام النبلاء (٩٦/٢٣).

وكان قد بلغ الثَّمانين^(١).

وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ شَيْئاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَلْبُهُ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ^(٢) شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ» رواه التِّرْمِذِيُّ^(٣).



(١) البداية والنهاية (١٧/٢٧٥).

(٢) أي: قلبه. مِرْقاة المفاتيح (٤/١٤٧٠).

(٣) أبواب فضائل القرآن، رقم (٢٩١٣)، من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

حِفْظُ الْمُتُونِ الْعِلْمِيَّةِ

عُلُومُ الْإِسْلَامِ مُتَنَوِّعَةٌ مَا بَيْنَ مُتُونٍ وَشُرُوحٍ، وَلِأَهْمِيَّةِ الْمُتُونِ فِي ضَبْطِ الْعِلْمِ حَثَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى حِفْظِهَا، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ الْعِلْمُ إِلَّا مَا حَصَلَ بِالْحِفْظِ»^(١).

وقال شيخ الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَيَجْتَهِدُ أَنْ يَعْتَصِمَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِأَصْلِ مَأْثُورٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ»^(٢).

وقال الإمام النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَبَعْدَ حِفْظِ الْقُرْآنِ يَحْفَظُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مُخْتَصِراً وَيَبْدَأُ بِالْأَهَمِّ، وَمِنْ أَهْمَمَهَا: الْفِقْهُ، وَالنَّحْوُ، ثُمَّ الْحَدِيثُ، وَالْأَصُولُ، ثُمَّ الْبَاقِي عَلَى مَا تيسَّرَ»^(٣).

وقال ابن الجوزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثُمَّ لِيَنْظُرَ مَا يَحْفَظُ مِنَ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَ عَزِيزٌ، وَالْعِلْمَ غَزِيرٌ»^(٤).

وقال الوالد مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَاسِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥) - كَمَا وَجَدْتُهُ

(١) الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ (ص ٣٤).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٦٦٤).

(٣) المجموع شرح المذهب (١/٣٨).

(٤) صيد الخاطر (ص ١٩٣).

(٥) هو: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمٍ، مِنْ آلِ عَاصِمٍ، مِنْ قَبِيلَةِ قَحْطَانَ، تُوْفِيَ سَنَةَ (١٤٢١هـ). جَامِعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَفَتَاوَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ آلِ الشَّيْخِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَحْطَهُ - : «مَنْ حَفِظَ الْأُصُولَ غَنِمَ الْوُصُولَ، وَمَنْ ضَيَّعَ الْأُصُولَ حُرِمَ الْوُصُولَ، وَأُبْعِدَ عَنِ الْأُصُولِ، وَطَالَتْ عَلَيْهِ الْفُصُولُ، وَفَقَدَ حَتَّى الْقَلِيلَ الْمَحْصُولَ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّ لَهُ إِلَى السَّمَاءِ وُصُولًا».



حُضُورُ دُرُوسِ الْعُلَمَاءِ

حُضُورُ دُرُوسِ الْعُلَمَاءِ عِبَادَةٌ جَلِيلَةٌ؛ ففِي دُرُوسِهِمْ زِيَادَةٌ إِيْمَانٍ، وَمُجَالَسَةٌ لِلصَّالِحِينَ، وَنُصْحٌ لِلأُمَّةِ، وَتَعَلُّوْ وَجُوهَهُمْ خَشْيَةَ اللَّهِ وَمُرَاقِبَتُهُ، وَتَنْتَفَعُ بِمُجَالَسَةِ الْعَالِمِ الشَّفَقَةَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَمُوَاسَاةَ الْفُقَرَاءِ.

فِي دُرُوسِهِمْ: سَمْتُ الْعُلَمَاءِ، وَفِي حَدِيثِهِمْ: الصَّدْقُ، وَعَلَى جَوَارِحِهِمْ: أَمَارَةُ نَقَاءِ السَّرِيرَةِ وَكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ، حِفْظُ دَائِمٍ لَزْمَانِ دَهْرِهِمْ، حُسْنٌ فِي التَّعَامُلِ فِي أفعالِهِمْ، حِلْمُ الشُّيُوخِ وَحِكْمَةُ الْعُقَلَاءِ، وَمَعَ أَقْرَانِهِمْ: وَفَاءُ الصَّدِيقِ وَحِفْظُ الْوَدِّ، وَمَعَ الْغَرِيبِ: إِكْرَامُ الضَّيْفِ، مَجَالَسُهُمْ: تَذَكِيرٌ بِسِيرِ الْأَفْذَاذِ مِنَ الْأَسْلَافِ، شَحْذٌ دَائِمٌ لِأُمُورِ الْآخِرَةِ.

فِي دُرُوسِهِمْ: يَلْتَقِطُ النَّاشِئُ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ لِبَابِ (١) الْكُتُبِ، حَفِظُوا أَحْسَنَ مَا قَرَأْتُمْ، وَأَظْهَرُوا زَهْرَةَ مَا حَفِظْتُمْ، فِي حَلَقَاتِهِمْ: تَصْحِيحٌ لِأَلْفَاظِ مَا فِي بَطُونِ الْكُتُبِ، وَإِرْشَادٌ لِخَيْرِ مَا يُقْرَأُ، وَخُلَاصَةٌ مَا يُحْفَظُ، فِي الْقُرْبِ مِنْهُمْ: إِيضَاحٌ لِفَهْمِ مَسْطُورِ فُحُولِ الْعُلَمَاءِ.

فِي دُرُوسِهِمْ: خَيْرَاتٌ مُتَنَائِرَةٌ، وَثَمَرَاتٌ يَانِعَةٌ؛ فَكُنْ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ وَإِلَى دُرُوسِهِمْ؛ لَتَرْتَشِفَ مِنْ مَعِينِ عُلُومِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ.



(١) أي: خالص. لسان العرب (١/٧٢٩).

قِرَاءَةُ الكُتُبِ

لا غِنَى للمُسلمِ عن القِراءةِ مع حُضورِ دُرُوسِ العُلَماءِ، والسُّؤالِ
عَمَّا أَشكَلَ عليه.

والكُتُبُ كَثيرةٌ في مُختَلَفِ الفُنُونِ، والمرءُ يَحْرِصُ على قِراءةِ
مُهَمَّاتِ الكُتُبِ المَلِيئةِ بالفوائدِ.

وَكُتِبَ السَّلَفُ تَمَتَّازُ بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وسلامَةِ الألفاظِ،
وكثرةِ المعاني، وقد تَجَدُّ في الكُتُبِ ما لا تَجِدُه في الدُّروسِ.

وفي القِراءةِ زيادةُ المداركِ، وسَعَةُ الأفهامِ، ورُقِيَّ العقولِ،
واكتسابُ لأخلاقِ الأسلافِ، وانتقالُ بالرُّوحِ إلى حياةٍ سعيدةٍ.

ومَنْ نَظَرَ في كُتُبِ العُلَماءِ الرَّبَّانِيِّينَ؛ عَرَفَ قَدْرَهُمَ، ونُصَحَهُمَ
لِلأُمَّةِ، وأنزَلَهُمَ مَنزِلَتَهُمَ، وأَجَلَّهُمَ وأَحَبَّهُمَ، وَمِنْ عاقِبَةِ ذلكَ: أنْ يُحشَرَ
مَعَهُمَ في جَنَّاتِ النِّعَمِ.



مَاذَا أَقْرَأُ مِنَ الْكُتُبِ؟

هذه كُتُبٌ مُقْتَرَحَةٌ للقراءة بمستوياتها، مَنْ قرأها حَصَلَ - بإذن الله -
علمًا غزيرًا، وهي:

* المستوى الأول:

- ١ - التَّيَّان في آداب حَمَلَةِ الْقُرْآن؛ لِلنَّوويِّ.
- ٢ - الوَائِل الصَّيِّب من الكَلِم الطَّيِّب؛ لابن القيم.

* المستوى الثاني:

- ١ - الكَبَائِر؛ لِلذَّهَبِيِّ.
- ٢ - الفُصُول في اختصار سيرة الرَّسول ﷺ؛ لابن كثير.

* المستوى الثالث:

- ١ - الجَوَاب الكافي؛ لابن القيم.
- ٢ - العُبُودِيَّة؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

* المستوى الرابع:

- ١ - حادي الأرواح؛ لابن القيم.
- ٢ - صَيْد الخاطر؛ لابن الجوزيِّ.

* المستوى الخامس :

- ١ - تفسير القرآن العظيم ؛ لابن كثير.
- ٢ - زاد المعاد ؛ لابن القيم.
- ١ - الصَّحاح ؛ للجَوْهَرِيِّ.
- ٢ - تهذيب اللُّغَة ؛ لمُحَمَّدِ الأزهريِّ.

* المستوى السادس :

- ١ - فتاوى الشَّيخِ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيم آل الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ.
- ٢ - فتاوى الشَّيخِ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ.
- ٣ - فتاوى اللِّجْنَةِ الدَّائِمَةِ.

* المستوى السابع :

- ١ - مؤلَّفَاتِ شيخ الإسلام ابن تيميَّة.
- ٢ - مؤلَّفَاتِ ابن القيم.
- ٣ - الدرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة ، لابن قاسم.



عَدَمُ اسْتِعْجَالِ قَطْفِ الثَّمَرَةِ

لَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ جُمْلَةً؛ فَإِنَّ مَنْ رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً،
ولكن الشَّيْءُ بعد الشَّيْءِ مع الأَيَّامِ واللِّيالي، ودَاوِ بدواء الإخْلاصِ
عَلِيلَ الْعَمَلِ القليلِ.

فإذا شَرَعْتَ في طَلَبِ الْعِلْمِ؛ فلا تَقْرَأْ كُتُبَ الْمُطَوَّلَاتِ
والخِلافيَّاتِ - وأنتَ في أوَّلِ الطَّلَبِ -، وإذا بَدَأْتَ في حِفْظِ الْمُتُونِ؛
فلا تَحْفَظْ مَتْنًا يَحْفَظُهُ السَّابِقُونَ في أَشْهُرٍ تَحْفَظُهُ أَنْتَ في أَيَّامٍ.

وكانت طريقة الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبراهيمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١) مع طُلَّابِهِ: يَحْفَظُونَ
ثَلَاثَةَ آبِيَاتٍ من «أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ»^(٢) كُلَّ يَوْمٍ فَقَطْ، وَثَلَاثَةَ أَحَادِيثٍ من
«بُلُوغِ الْمَرَامِ»^(٣)، وَثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ من «زَادِ الْمُسْتَفْنِعِ»^(٤)، فَيَنْتَهُونَ من الزَّادِ
كُلَّ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ مَرَّةً، وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمُتَأَنِّيَةِ الْمُتَقَنَّةِ خَرَجَ الْعُلَمَاءُ
الرَّاسِخُونَ.

(١) هو: مُحَمَّدُ بْنُ إِبراهيمَ بن عبد اللطيف آل الشَّيْخِ، وُلِدَ سَنَةَ (١٣١١هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٨٩هـ). الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/٤٧٤).

(٢) الألفية في النحو؛ لجمال الدين أبي عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ عبدِ اللَّهِ بْنِ عبدِ اللَّهِ بْنِ مالِكِ الطَّائِيِّ الجيانيِّ. طبقات الشافعيين (ص ٩٠٨).

(٣) بلوغ المرام من أدلة الأحكام؛ لأبي الفضل شهاب الدين ابن حجر العسقلاني. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٢/٦٦١).

(٤) زاد المُسْتَفْنِعِ في اختصار المُفْنِعِ؛ لأبي النُّجَاجِ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الحَجَّاجِيِّ المَقْدِسِيِّ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/٤٧٢).

والعلماء يَمَكُثُونَ في بعض مُصَنَّفَاتِهِمْ عِدَدَ سِنِينَ؛ يَقُولُ ابْنُ حَزْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ تَصْنِيفِهِ لِكِتَابِ الْأَخْلَاقِ وَالسَّيْرِ: «أَنْفَقْتُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ عُمْرِي»^(١)، وَهُوَ ثَمَانُونَ صَفْحَةً فَقَطْ، وَابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) مَكَثَ فِي تَصْنِيفِ «فَتْحِ الْبَارِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ عَامًا. وَالدَّاعِيَةُ لَا يَتَطَّلَعُ إِلَى ثَمَرَةِ دَعْوَتِهِ بِكَثْرَةِ الْمُسْتَجِيبِينَ؛ بَلْ عَمَلُهُ مَقْصُورٌ عَلَى الْبَيَانِ وَالِدَّعْوَةِ، وَليست له الهدايةُ وتحويلُ القلوبِ؛ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩]. فَأَنْتَ بَلَّغْ وَرَبُّكَ الْمُسَدِّدُ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، كَمَا سَعَى النَّبِيُّ ﷺ إِلَى إِسْلَامِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُ مَا أَرَادَ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ اجْتَهَدَ فِي دَعْوَةِ قَوْمِهِ سِنِينَ عِدَدًا فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ؛ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّهْطُ»^(٣)، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٤).

فَاعْمَلْ صَالِحًا بِإِخْلَاصٍ وَلَا تَتَطَّلَعْ إِلَى ثَمَرَةِ الْعَمَلِ.



(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ١١).
 (٢) هو: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكِنَانِي العَسْقَلَانِي ثُمَّ الْمَصْرِي الشَّافِعِي، وَوُلِدَ سَنَةَ (٧٧٣هـ)، وَتَوَفِّي سَنَةَ (٨٥٢هـ). طَبَقَاتُ الْحِفَاطِ لِلْسِّيُوطِيِّ (ص ٥٥٢).
 (٣) الرَّهْطُ: مَا دُونَ الْعَشْرَةِ مِنَ الرِّجَالِ. الصَّحَاحُ (٣/١١٢٨).
 (٤) كِتَابُ الطَّبِّ، بَابُ مَنْ أَكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ، وَفَضْلٌ مَنْ لَمْ يَكْتُو، رَقْمٌ (٥٧٠٥)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

احْتِرَامُ الْعُلَمَاءِ

الْعُلَمَاءُ هُمْ سِرَاجُ الْعِبَادِ، وَمَنَارُ الْبِلَادِ، وَقِوَامُ الْأُمَّةِ، يَقُولُ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١): «مَثَلُ الْعَالِمِ: كَمَثَلِ رَجُلٍ حَمَلَ سِرَاجًا فِي طَرِيقٍ مُظْلِمٍ؛ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ مَرَّ بِهِ» (٢).

وَمِنْ تَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ وَالذِّينِ تَعْظِيمُ الْعُلَمَاءِ؛ فَهَمَّ خَلَفُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فِي دَعْوَتِهِمْ؛ قَالَ ﷺ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» رواه أحمد (٣).

وقد سار الأسلاف على تَبَجِيلِ الْعُلَمَاءِ وَتَوْقِيرِهِمْ؛ يَقُولُ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤): «مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيَّ يَنْظُرُ إِلَيَّ؛ هَيْبَةً لَهُ» (٥).

سَوَّأَهُمْ عِلْمٌ، وَمُجَالَسَتُهُمْ سَعَادَةٌ، وَمُخَالَطَتُهُمْ تَقْوِيمٌ لِلسُّلُوكِ، وَمَلَازِمَتُهُمْ حِفْظٌ لِلشَّبَابِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنَ الزَّلَلِ، يَقُولُ أَبُو

(١) هو: أبو عبد الله سلمان الفارسي، يُقَالُ: إِنَّهُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُعْرَفُ بِسَلْمَانَ الْخَيْرِ، تُوْفِيَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عَثْمَانَ سَنَةَ (٣٥هـ). الْاسْتِيعَابُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ (٢/٦٣٤).

(٢) رواه الدارمي في المسند، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ، وتعليم السنن، (١/٤٦١)، رقم (٥٧٦).

(٣) في المسند، رقم (٢١٧١٥)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) هو: أبو مُحَمَّدِ الرَّبِيعِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْمُرَادِيِّ مَوْلَاهُمْ، الْمَصْرِيُّ، وَلِدَ سَنَةَ (١٧٣هـ) أَوْ (١٧٤هـ)، وَتُوْفِيَ سَنَةَ (٢٠٧هـ). طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ لِابْنِ قَاضِي شَهْبَةَ (١/٦٥).

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي (٢/١٤٥).

الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ: مَمْشَاهُ وَمَدْخَلُهُ وَمَخْرَجُهُ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ»^(١).

ثَمَرَةٌ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ لَيْسَتْ فِي التَّرْوُدِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ فَحَسَبٌ؛ بَلْ بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي الْهَدْيِ وَالسَّمْتِ وَعَلَوِّ الْهِمَّةِ وَنَفْعِ الْآخِرِينَ، يَقُولُ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ رضي الله عنه^(٢): «وَجَدْتُ صَلَاحَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ»^(٣).

وَبُعْدُ نَاشِئَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْعُلَمَاءِ يُفْضِي إِلَى تَخَبُّطٍ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَإِعْجَابٍ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِلْفُرْقَةِ وَقَلَّةِ التَّعَبُّدِ؛ يَقُولُ الشَّعْبِيُّ رضي الله عنه^(٤): «جَالِسُوا الْعُلَمَاءَ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ أَحْسَنْتُمْ حَمِدُوكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ تَأَوَّلُوا لَكُمْ وَعَذَرُوكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأْتُمْ لَمْ يُعَنَّفُوكُمْ، وَإِنْ جَهَلْتُمْ عَلَّمُوكُمْ، وَإِنْ شَهِدُوا لَكُمْ نَفَعُوكُمْ»^(٥).

فَجَالِسِ الْعُلَمَاءَ بِأَدَبٍ، وَتَوَاضَعْ فِي نَفْسِكَ، وَتَلَطَّفْ مَعَهُمْ فِي السُّؤَالِ، وَلِيَكُنْ حَدِيثُكَ مَعَهُمْ بِأَحْسَنِ الْمَقَالِ.

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى، باب التحذير من ضحبة قوم يمرضون القلوب ويُفسدون الإيمان، (٤٣٧/٢)، رقم (٣٦٨).

(٢) هو: أبو أيوب ميمون بن مهران الجزري، ولد سنة (٤٤٠هـ)، وتوفي سنة (١١٧هـ). سير أعلام النبلاء (٧١/٥).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨٥/٤).

(٤) هو: أبو عمرو عامر بن شراحيل الشَّعْبِيُّ الكوفي، ولد لست سنين مضت من خلافة عمر رضي الله عنه، وتوفي سنة (١٠٣هـ). طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٤٠).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٥١٩/١)، رقم (٨٤٧).

وَإِذَا جَالَسْتَهُمْ؛ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ،
وَلْيَكُنْ سَوْأَلُكَ تَفْقُهَا؛ لَا تَعْتَأْ.

قَالَ لُقْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا بُنَيَّ، جَالِسِ الْعُلَمَاءَ وَزَاحِمُهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ؛ فَإِنَّ
اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ»^(١).

وعليك بتبجيل العلماء وأهل الفضل والإيمان، وإذا تعلم الإنسان
وحصل قدراً من العلم؛ فليعلم أنه قليل بجانب ما جهل، فلا يدخله
العجب، والعلم لا يُنال إلا بالتواضع وإلقاء السمع، فاحترم معلمك
وجل قدره بالتأدب معه في الحديث والاستماع والهيئة، فسوء الأدب
معه مُرُوقٌ من صفات المُرُوءات والأعراف، وزِيغٌ عن سير الأسلاف،
يقول الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيَّ يَنْظُرُ
إِلَيَّ؛ هَيْبَةً لَهُ».

وَاشْكُرْ مُعَلِّمَكَ عَلَى إِرْشَادِهِ وَإِخْلَاصِهِ لِحَالِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ
مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ.

وَمِنْ حَقُوقِ الْمُتَعَلِّمِ عَلَى مُعَلِّمِهِ: الْإِعْتِذَارُ لَهُ، وَنَسْبُ الْعَتَبِ
لِلنَّفْسِ، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ فِي الْخِطَابِ، وَالتَّطَطُّفُ فِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ.

وَاحْذَرِ الْمُبَاهَاةَ وَالْمُمَارَاةَ، وَأَصْغِ إِلَى حَدِيثِ مُعَلِّمِكَ، وَلَا تَنْشَنِ
عَنِ الْإِسْتِفْهَامِ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ؛ فَالسُّؤَالُ عَنِ الدِّينِ
شَرَفٌ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ السُّؤَالِ وَالْبَقَاءُ عَلَى الْجَهْلِ مَهَانَةٌ؛ تَقُولُ

(١) رواه مالك في الموطأ، باب ما جاء في طلب العلم، (١٤٥٨/٥)، رقم (٣٦٧٠).

عائشة رضي الله عنها: «نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ» متفق عليه^(١).



(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم (١٣٠)، ومسلم، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فُرْصَةً من مسك في موضع الدم، رقم (٣٣٢).

احْتِرَامُ الْأَقْرَانِ

الْخِصَالُ الصَّالِحَةُ مِنَ الْبِرِّ لَا تَحْيَا إِلَّا بِالْمُؤَافِقِينَ فِي الطَّبَاعِ، وَمِنْ أَحْصَى الصِّفَاتِ فِي الصَّاحِبِ: أَنْ يَكُونَ ذَا سَدَادٍ فِي الرَّأْيِ، وَصَدَقٍ فِي الْمَوَدَّةِ، وَأَمَانَةٍ فِي السَّرِّ، وَوَفَاءٍ بِالْإِخَاءِ، وَلَا تَلَزَمَ سِوَى الصَّالِحِينَ؛ فَنِعْمَ الْعَوْنُ هُمْ عَلَى أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ.

وَمِنْ سِمَاتِ الْمُسْلِمِ: أَنْ لَا يَحْسُدَ أَحَدًا مِنْ أَقْرَانِهِ عَلَى مَا مَنَحَهُ اللَّهُ مِنْ نِعَمٍ - مِنْ حِفْظٍ، أَوْ فَهْمٍ، أَوْ إِدْرَاكِ، أَوْ بَدْوٍ عِلَامَاتِ نَفْعِهِ لِلْمُسْلِمِينَ -، وَيَحْفَظُهُ فِي غَيْبَتِهِ؛ فَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَهْتِكُ عِرْضَهُ بِالنِّمِيْمَةِ وَالْبُهْتَانِ.

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ يُعْظِمُ أَحَدَهُمْ قَرِينَهُ وَيُبَجِّلُهُ، مَعَ سَلَامَةِ قَلْبِهِ لَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ فِي غَيْبَتِهِ، وَلَقَدْ كَانَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ الْقَيْمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَقْرَانًا، وَهُمَا مِنْ تَلَامِذَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَانْظُرْ إِلَى تَعْظِيمِ ابْنِ كَثِيرٍ لِقَرِينِهِ ابْنِ الْقَيْمِ - وَهُوَ يُتْرَجَمُ لَهُ -؛ يَقُولُ عَنْهُ: «كَانَ حَسَنَ الْقِرَاءَةِ وَالْخُلُقِ، وَكَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ أَحَدًا وَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَعِيبُهُ، وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ، وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ النَّاسِ لَهُ، وَأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ»^(١).

فَسَلَامَةُ الصَّدْرِ وَالْمَحَبَّةُ فِي اللَّهِ نَفْعُ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَصَاحِبِ الْمُجِدِّينَ الْمُتَيْقِظِينَ لِلزَّمَانِ، وَجَانِبِ الْمُجَالَسَةِ الْخَاوِيَةِ، وَاقْرَأْ

(١) البداية والنهاية (١٨/٥٢٣).

سِيرَ الأَفْذادِ، واستَزِدَّ من المعرفة بعلوم الشَّرِيعَةِ، واغْتَنِمَ حياتَكَ النَّفِيسَةَ
واحتَفِظْ بأوقاتِكَ العَزِيزَةِ، وُحِّثْ رِفقاءَكَ على تَحْصِيلِ العِلْمِ، وانصَحْ
لهم في الدِّينِ، ولا تَحْسُدْ ذا نِعْمَةٍ على نِعْمَتِهِ بالحِفظِ والفِهمِ، وسَلِ
المُنْعِمَ التَّوْفِيقَ دوماً؛ فالعَوْنُ من الوهَّابِ لا بالرُّكونِ إلى الأسبابِ.



عَشْرَاتُ طَلَبِ الْعِلْمِ

العوائق والآفات عشراتُ أمام مواصلة سيرِ الطَّلَب، فالحفظ والمُدَارَسَةُ لا تُحَمَدَانِ بحضرة الشَّوَاغِلِ والصَّوَارِفِ.

وفي المُلَهِّيَّاتِ الحضاريَّةِ المَحذُورَةِ، والمَحَطَّاتِ الفَضائيَّةِ إِشْغَالٌ للأفكار، وعيشٌ في الأوهام، وهَدْرٌ للأوقات، وفي مجانبتها صيانةٌ للدين وشفاءُ الأذهان، وحِفْظُ الأزمانِ ومُسابقةُ الأقران، فنزَّةٌ سَمَعَكَ وبصركَ عَمَّا يُلَوِّثُ فِكْرَكَ، وَيُسِيءُ إِلَى سُلُوكِكَ، وَيُفْسِدُ أَخْلَاقِيَّاتِكَ.

وآفَةُ الْعِلْمِ: الإِعْجَابُ، وَحِلِيَّتُهُ: الْحِلْمُ وَالتَّوَاضِعُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى رَبِّهِ وَسَلَكَهُ قَاصِدًا الْوَصُولَ إِلَيْهِ، وَالْمَحْرُومُ مَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ.



هَلْ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ مَشَقَّةٌ؟

طَلَبُ الْعِلْمِ شاقٌّ؛ وَلَكِنْ لَهُ لَذَّةٌ وَمُتَعَةٌ، وَالْعِلْمُ لَا يُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَتَحَمَّلْ ذَلِكَ التَّعَلُّمِ سَاعَةً؛ يَتَجَرَّعُ كَأْسَ الْجَهْلِ أَبَدًا.

وَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ لَا مَنَاصَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهِمَا، وَالصَّابِرُ مَوْعُودٌ بِالْجَنَانِ ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

وَلَا يُنَالُ الْعِلْمُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَبِذَلِ النَّفُوسِ فِي طَلْبِهِ، وَالتَّفَانِي فِيهِ؛ قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَقَدْ كُنْتُ فِي حَلَاوَةِ طَلْبِ الْعِلْمِ أَلْقَى مِنَ الشَّدَائِدِ مَا هُوَ عِنْدِي أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، لِأَجْلِ مَا أُطْلَبُ وَأَرْجُو، كُنْتُ فِي زَمَانِ الصَّبَا أَخْذُ مَعِيَ أَرْغِفَةً يَابِسَةً فَأَخْرُجُ فِي طَلْبِ الْحَدِيثِ، وَأَقْعُدُ عَلَى نَهْرِ عَيْسَى^(١) فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَكْلِهَا إِلَّا عِنْدَ الْمَاءِ؛ فَكَلَّمَا أَكَلْتُ اللَّقْمَةَ شَرِبْتُ عَلَيْهَا، وَعَيْنُ هِمَّتِي لَا تَرَى إِلَّا لَذَّةَ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ»^(٢).

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ نَفْسِهِ - وَهُوَ يُؤَلِّفُ كِتَابَهُ: «جَامِعُ الْمَسَانِيدِ» - : «لَا زِلْتُ أَكْتُبُ فِيهِ فِي اللَّيْلِ وَالسَّرَاجُ يُنَوِّنُصُ^(٣)؛ حَتَّى

(١) كورة، وقرى كثيرة، وعمل واسع في غربي بغداد يعرف بهذا الاسم، ومأخذه من الفرات. معجم البلدان (٥/٣٢٢).

(٢) صيد الخاطر (ص ٢٤٨).

(٣) أي: يَرْتَفِعُ ضَوْؤُهُ وَيُنْخَفِضُ. تاج العروس (١٨/١٩٧).

ذَهَبَ بَصْرِي مَعَهُ»^(١).

ويقول أبو حاتم الرازي رحمته الله^(٢): «أَوَّلُ سَنَةٍ خَرَجْتُ فِيهِ طَلَبِ الْحَدِيثِ أَقَمْتُ سَبْعَ سِنِينَ، أَحْصَيْتُ مَا مَشَيْتُ عَلَى قَدَمِي زِيَادَةً عَلَى أَلْفِ فَرَسَخٍ^(٣)، ثُمَّ تَرَكْتُ الْعَدَدَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَخَرَجْتُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ^(٤) إِلَى مِصْرَ مَاشِيًا، ثُمَّ إِلَى الرَّمْلَةِ^(٥) مَاشِيًا، ثُمَّ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ^(٦)، ثُمَّ إِلَى طَرْسُوسَ^(٧)، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى حِمَصَ^(٨)، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ^(٩)، ثُمَّ رَكِبْتُ إِلَى الْعِرَاقِ، كُلُّ هَذَا وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً»^(١٠).

وبالنظر إلى عواقب الأمر؛ يهون الصبر على كل ما تشتهي وتكره.

ومن أنفق عصر الشباب في العلم؛ فإنه في زمن الشيخوخة يحمد ما جنى من عرس، ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات

(١) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد (١/٢٠).

(٢) هو: أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، ولد سنة (١٩٥هـ)، وتوفي سنة (٢٧٧هـ). سير أعلام النبلاء (١٣/٢٤٧).

(٣) الفرسخ: (٨,٣) كيلومتر تقريباً؛ أي: أنه قطع (٨,٣٠٠) كيلومتر على قدميه في تلك الرحلة في طلب العلم، ثم بعد ذلك توقف عن حساب ما قطعه من المسافات.

(٤) البحرين: مدينة شرق السعودية تسمى اليوم: الأحساء، وليست دولة البحرين المعروفة.

(٥) الرملة: مدينة شمال غرب القدس، تبعد عنه حوالي (٣٨) كم.

(٦) أنطاكية: مدينة جنوب تركيا تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد (٣٠) كم من شاطئ البحر المتوسط.

(٧) طرسوس: مدينة جنوب تركيا تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

(٨) حمص: مدينة شمال دمشق، تبعد عنها حوالي (١٦٢) كم.

(٩) الرقة: مدينة شرق حلب، تبعد عنها حوالي (١٦٠) كم.

(١٠) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٠٨).

البَدَنَ شيئاً بالإضافة إلى ما يَنالُه من لذَّاتِ العِلْمِ؛ قيل للإمام
 أَحْمَدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَتَى الرَّاحَةُ؟ قَالَ: عِنْدَ وَضْعِ أَوَّلِ قَدَمٍ فِي الْجَنَّةِ»^(١)،
 وَاللَّهُ مَعَكَ عَلَى قَدْرِ صِدْقِ الطَّلَبِ، وَقُوَّةِ اللُّجُوءِ، وَخَلْعِ الحَوْلِ والقُوَّةِ.



(١) طبقات الحنابلة (١/٢٩٣).

الْغُرْبَةُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

البُعدُ عن الأهل والأوطان يُظهرُ مناصِحَ الرِّجالِ وكَرِيمَ الخِلالِ،
وفي الغُرْبَةِ ذُرْبَةٌ على مَشَقَّةِ الحِياةِ وضيِّقِ الابتلاءِ، وهو مَدْرَسَةٌ للشُّموخِ
في العِلْمِ، ودرَسٌ في أن الحِياةَ قد لا يَدُومُ فيها الرِّخاءُ والتَّرفُ، وفي
الغُرْبَةِ انطلاقةٌ لطالِبِ العِلْمِ في عدمِ الإِعتِدادِ على الأهلِ، وأنَّ الحِياةَ
لا تَدُومُ على حالٍ، وفي ذلك يقول الإمامُ الشَّافِعِيُّ في ديوانِهِ^(١):

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجٌ هُمْ وَأَكْتَسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ
وقال أيضاً^(٢):

مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاعْتَرِبِ
سَافِرٌ تَجِدُ عِوَضاً عَمَّنْ تَفَارِقُهُ وَأَنْصَبُ فَإِنَّ لِدَيْدِ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ
وَالْأُسْدُ لَوْ لَا فِرَاقَ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ وَالسَّهْمُ لَوْ لَا فِرَاقَ الْقَوْسِ لَمْ يُصَبِ
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
وَالْبَدْرُ لَوْ لَا أَفْوَلٌ مِنْهُ مَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي كُلِّ حِينٍ عَيْنٌ مُرْتَقِبِ
وَالتَّبْرُ كَالثُّرْبِ مُلْقَى فِي أَمَاكِنِهِ وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَغَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ

(٢) في ديوانه (ص ٣).

(١) (ص ٦).

وَإِذَا صَدَقَ الْعَرِيبُ مَعَ اللَّهِ؛ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ فِي غُرْبَتِهِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ
 كَانَ مَدْخُلُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَدْخَلَ صِدْقٍ بِاللَّهِ، وَلِلَّهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ،
 فَاتَّصَلَ بِهِ التَّائِيدُ وَالظَّفَرُ، وَأَدْرَكَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ بِخِلَافِ مَدْخَلِ
 الْكَذِبِ الَّذِي رَامَ أَعْدَاؤُهُ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ
 يَكُنْ بِاللَّهِ، وَلَا لِلَّهِ، بَلْ كَانَ مُحَادَّةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَلَمْ يَتَّصِلْ بِهِ إِلَّا
 الْخِذْلَانُ وَالْخَسَارُ، وَمَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 بِصِدْقٍ أَوْ كَذِبٍ؛ فَمَخْرَجُ كُلِّ وَاحِدٍ وَمَدْخَلُهُ لَا يَعْدُو الصِّدْقَ أَوْ
 الْكَذِبَ.

وَاللَّهُ ﷻ إِذَا أَرَادَ رِفْعَةَ عَبْدٍ كَسَرَهُ أَوَّلًا، فَإِذَا لَجَأَ إِلَى اللَّهِ،
 وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ، وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالطَّاعَاتِ؛ رَفَعَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَدْرِ
 انكساره لله تعالى.



مَشَقَّةُ الْغُرْبَةِ

فِرَاقُ الْوَطَنِ عَزِيزٌ عَلَى النَّفْسِ، ثَقِيلٌ عَلَى الطَّبَاعِ، وَلَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ نَظَرَ إِلَيْهَا، وَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ» رواه أحمد^(١).

وقد لاقى فُحُولُ الْعُلَمَاءِ فِي الْغُرْبَةِ مَا لَا قُوَا، وَلَمْ يُشْنِهِمْ ذَلِكَ عَنْ مَوَاصِلَةِ طَلَبِ الْعِلْمِ؛ فَالْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا خَرَجَ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢) فِي الْيَمَنِ، انْقَطَعَتْ بِهِ النِّفْقَةُ، فَأَكْرَى نَفْسَهُ - أَي: أَجْرَهَا - عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعِلْمِهِ مِنْ بَعْضِ الْحَمَّالِينَ إِلَى أَنْ وَافَى صَنْعَاءَ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُهُ عَرَضُوا عَلَيْهِ الْمُوَاسَاةَ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً^(٣).

وَرَهَنَ نَعْلَهُ عِنْدَ خَبَّازٍ عَلَى طَعَامٍ أَخَذَهُ مِنْهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْيَمَنِ^(٤)، وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الشَّدَائِدِ الَّتِي لَقِيَهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ خِلَالَ رِحْلَتِهِ إِلَى الْيَمَنِ وَإِقَامَتِهِ فِيهَا لِتَحْصِيلِ

(١) فِي الْمَسْنَدِ، رَقْم (١٨٧١٥)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) هُو: أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَامِ بْنِ نَافِعِ الصَّنْعَانِيِّ، مَوْلَى جَمِيرٍ، وَلِدَ سَنَةَ (١٢٦هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (٢١١هـ). وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ (٣/٢١٦).

(٣) مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (ص ٣٠٩).

(٤) مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (ص ٣١٠).

العِلْمِ والحديث - : «وَسُرِقَتْ ثِيَابُهُ وَهُوَ بِالْيَمَنِ، فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ الْبَابَ، وَفَقَدَهُ أَصْحَابُهُ، فَجَاؤُوا إِلَيْهِ فَسَأَلُوهُ، فَأَخْبَرَهُمْ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ ذَهَبًا فَلَمْ يَقْبَلْهُ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُمْ إِلَّا دِينَارًا وَاحِدًا لِيَكْتُبَ لَهُمْ بِهِ - أَيُّ: أَخَذَ الدِّينَارَ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَجْرَةً لِمَا يَنْسَخُهُ لَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ - ، فَكَتَبَ لَهُمْ بِالْأَجْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»^(١).

والإمام البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الغربة لا يجد ما يستتر به عورته، وحكى الخطيب البغدادي^(٢) في ترجمة الإمام البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ عُمَرُ بْنُ حَفْصِ الْأَشَقْرِيِّ^(٣): إِنَّهُمْ فَقَدُوا الْبُخَارِيَّ أَيَّامًا مِنْ كِتَابَةِ الْحَدِيثِ بِالْبَصْرَةِ، قَالَ: فَطَلَبْنَاهُ فَوَجَدْنَاهُ فِي بَيْتٍ وَهُوَ عَرِيَانٌ، وَقَدْ نَفَدَ مَا عِنْدَهُ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ شَيْءٌ، فَاجْتَمَعْنَا وَجَمَعْنَا لَهُ الدَّرَاهِمَ حَتَّى اشْتَرَيْنَا لَهُ ثَوْبًا وَكَسَوْنَاهُ، ثُمَّ أَنْدَفَعْنَا مَعَنَا فِي كِتَابَةِ الْحَدِيثِ»^(٤).

بل كان يأكل من الأرض، وما عنده ما يشتري به طعاماً؛ يقول الإمام البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ نَفْسِهِ: «خَرَجْتُ إِلَى آدَمَ ابْنِ أَبِي إِيَّاسٍ^(٥) فِي عَسْقَلَانَ، فَتَخَلَّفَتْ عَنِّي نَفَقَتِي حَتَّى جَعَلْتُ أَتَنَاوُلُ حَشِيشَ الْأَرْضِ وَلَا

(١) البداية والنهاية (١٤/٣٨٩).

(٢) هو: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ولد سنة (٣٩٢هـ)، وتوفي سنة (٤٦٣هـ). طبقات الشافعية الكبرى (٤/٢٩).

(٣) هو: عمر بن حفص بن عمر الأشقر القرشي البخاري، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٢٦٦هـ). لسان الميزان (٦/٩٢)، تاريخ الإسلام (٦/٣٧٥).

(٤) تاريخ بغداد (٢/٣٣٢).

(٥) آدم بن أبي إياس: عبد الرحمن العسقلاني، أصله خراساني، يكنى أبا الحسن، نشأ ببغداد، ثقة عابد، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٢٢١هـ). تقريب التهذيب (ص٨٦).

أَخْبِرُ بِذَلِكَ أَحَدًا، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ أَتَانِي آتٍ لَمْ أَعْرِفْهُ، فَنَاوَلَنِي صُرَّةَ دَنَانِيرٍ، وَقَالَ: أَنْفِقْ عَلَيَّ نَفْسِكَ»^(١).

وأبو حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْكِي لَنَا مَا قَاسَاهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الشَّدَّةِ؛ يَقُولُ: «فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ - أَي: وَمِئَتَيْنِ - بَقِيْتُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ فِي نَفْسِي أُقِيمُ سَنَةً، فَانْقَطَعَتْ نَفْقَتِي؛ فَجَعَلْتُ أُبِيعُ ثِيَابِي حَتَّى نَفِدَتْ وَبَقِيْتُ بِلا نَفَقَةٍ.

وَمَضَيْتُ أَطُوفَ مَعَ صَدِيقٍ لِي إِلَى الْمَشِيحَةِ وَأَسْمَعُ إِلَى الْمَسَاءِ، فَانصَرَفَ رَفِيقِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَجَعَلْتُ أَشْرَبُ الْمَاءَ مِنَ الْجُوعِ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَعَدَا عَلَيَّ رَفِيقِي فَجَعَلْتُ أَطُوفُ مَعَهُ فِي سَمَاعِ الْحَدِيثِ عَلَى جُوعٍ شَدِيدٍ، وَأَنْصَرَفْتُ جَائِعًا.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ؛ غَدَا عَلَيَّ فَقَالَ: مَرَّ بِنَا إِلَى الْمَشَايخِ، قُلْتُ: أَنَا ضَعِيفٌ لَا يُمَكِّنُنِي، قَالَ: مَا ضَعْفُكَ؟ قُلْتُ: لَا أَكْتُمُكَ أَمْرِي؛ قَدْ مَضَى يَوْمَانِ مَا طَعِمْتُ فِيهِمَا شَيْئًا، فَقَالَ: قَدْ بَقِيَ مَعِيَ دِينَارٌ، فَنِصْفُهُ لَكَ، وَنَجْعَلُ النِّصْفَ الْآخَرَ فِي الْكِرَاءِ، فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَصْرَةِ وَقَبَضْتُ مِنْهُ النِّصْفَ دِينَارًا»^(٢).

فَلَا تَحْزَنْ فِي الْعُرْبَةِ وَلَا تَضَجِرْ مِنْ كُرْبَاتِهَا، فَقَدْ لَاقَى الْعُلَمَاءُ مِنْهَا الْمَشَقَّةَ وَالضَّنْكَ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا صُمُودًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، حَتَّى حُفِظَ هَذَا الدِّينُ عَلَى أَعْنَاقِ أَوْلَادِكَ الْعِظَامِ، فَسِرْ عَلَى مَا سَارَ عَلَيْهِ

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/٤٤٨)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٢٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/٢٥٦).

العُلَمَاءُ؛ فَأَنْتَ فِي العُرْبَةِ تَخْطُو خُطُواتِهِمْ، وَكُنْ مُتَعَلِّقاً بِاللَّهِ ﷻ فِي
 غُرْبَتِكَ، وَاحْفَظْهُ بِالطَّاعَةِ لِيَحْفَظَكَ رَبُّكَ وَيَحْفَظَ أَهْلَكَ فِي دِيَارِهِمْ
 وَتَأَنَسَ فِي التَّعَرُّبِ.



الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ

ليس العلمُ أن تعرفَ المجهولَ؛ ولكن أن تستفيدَ من معرفته، والعلمُ النَّافعُ حقاً هو الذي يُرى أثره على صاحبه؛ نورٌ في الوجه، وخشيةٌ في القلب واستقامةٌ في السلوك، وصدقٌ مع الله، وصدقٌ مع النفسِ والنَّاسِ.

واللهُ ﷻ جعل العملَ الصَّالحَ مع الإيمان قيداً في دخول الجنَّة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١]؛ فذكرَ العملَ الصَّالحَ مع الإيمان.

وذمَّ اللهُ ﷻ بني إسرائيل على عدم انتفاعهم بالعلم، فقال سبحانه عنهم: ﴿وَعَاتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٧]، وذمَّ النَّصَارَى ووصفَهُم بِالضَّلَالَةِ؛ لجهلهم وعبادتهم ربَّهم بغيرِ علمٍ.

والعاملُ بعلمه يخرجُ من بين الطَّائِفَتَيْنِ المذمومتين - اليهود والنَّصارى -، والعملُ بالعلم ليس في جانب العبادات المَحْضَةِ فَحَسْبُ؛ بل حتَّى في المعاملات مع الخلق، فصدقُ الحديث، والوفاءُ بالوعد، والإحسانُ إلى الجار، وصِلَةُ الرَّحِمِ، والعفوُ عن الآخرين؛ كلُّ ذلك عملٌ بالعلمِ.

يقولُ ابنُ القَيِّمِ عن شَيْخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ رحمتهُ اللهُ: «وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْأَكَابِرِ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ (١)، وَمَا رَأَيْتُهُ يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطُّ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ، وَجِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرِ أَعْدَائِهِ وَأَشَدِّهِمْ عَدَاوَةً وَأَذَى لَهُ، فَنَهَرَنِي وَتَنَكَّرَ لِي (٢) وَاسْتَرْجَعَ (٣)، ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ وَقَالَ: إِنِّي لَكُمْ مَكَانُهُ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُسَاعَدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ، وَنَحْوَ هَذَا الْكَلَامِ، فَسُرُّوا بِهِ وَدَعَوْا لَهُ وَعَظَّمُوا هَذِهِ الْحَالَ مِنْهُ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ» (٤).

هكذا العِلْمُ يُهذِّبُ النُّفُوسَ، وَيَعْلُو عَلَى الْهَوَى، وَيَغْلِبُ الشَّهَوَاتَ، وَبِهَذَا جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ.



(١) أي: لَيْتَنِي أَعَامِلُ أَصْحَابِي كَمَا يُعَامِلُ ابنُ تَيْمِيَّةَ أَعْدَاءَهُ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ.
 (٢) التَّنَكُّرُ: التَّعْيِيرُ عَنِ حَالِ تَسْرُكٍ إِلَى حَالٍ تَكْرَهُهَا. تهذيب اللغة (١٠/١٠٩).
 (٣) أي: قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
 (٤) مدارج السالكين (٢/٣٢٩).

التَّوْفِيقُ بَيْنَ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ

في هذا العصر تنوّعت المشارب، وتَشَعَّبَت الطُّمُوحَات؛ مآرب مُختلفةٌ وصوارف مُتعدّدة، يقف المرء أمام تلك الصّوارف والموانع والمُتطلّبات مُحْتاراً؛ فليبيّت رِعايةً وواجباتٌ، وللزّوجة عنايةً ومطالبٌ، وللوالدين إكرامٌ وحقوقٌ، وللأصدقاء وُدٌّ ووفاء، وللأرحام صلةٌ وإحسان، وللجار تعاهدٌ وزيارة، وللفقراء بذلٌ وحُنوٌ، ولطلب الرّزق زمنٌ لازم، ولحضور دروس العلماء شغفٌ وطموح، ولحفظ المتون أُمْنِيَّةٌ وأمل.

أمام كلِّ ذلك يقفُ صاحب الهمة العالية مُحْتاراً؛ كيف يمكنه الجمع بين منشور ذلك الخير؟

إنَّ ذلك يتطلّب دعاءً ببركة الوقت، وتوفيقاً في تنظيم شؤون الحياة، وفي الشريعة قاعدة في الجمع بين مُتطلّبات الدُّنيا والدين؛ قال ﷺ: «**فَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**» متفق عليه^(١).

فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقه، واغتَنِمِ زمنَ عُمرِكَ وزهرةَ دهرِكَ بطرُق

(١) رواه البخاري، كتاب الصّوم، باب حق الجسم في الصّوم، رقم (١٩٧٥)، ومسلم، كتاب الصّيام، باب النهي عن صوم الدَّهر لمن تضرَّر به، أو قوّت به حقًّا، رقم (١١٥٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

كلَّ أبواب الخير، واجعل لكلِّ أولئك زمناً تتقرَّب به إلى الله بإخلاص النِّيَّة، واجعل بِرَّ والديك في غير معصيةٍ هو المُقدَّم؛ فالبركة والخيرات في القُرْب منهم.



بَرْنَامِجْ مُقْتَرَحْ

عَمَلُ الْمُسْلِمِ الْيَوْمِيُّ

الْمُسْلِمُ يَغْتَنِمُ زَمَنَ عُمُرِهِ؛ لِأَنَّهُ سَيُحَاسَبُ عَلَيْهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟» رواه التِّرْمِذِيُّ^(١).

وعلى المسلم أن يُخَصِّصَ وقتاً يومياً للعبادة؛ ومن ذلك:

١ - المُحَافَظَةُ على الصَّلواتِ الخَمْسِ في جَماعَةٍ.

٢ - الإِكثارُ من النَّوافِلِ.

٣ - تلاوَةُ القُرآنِ.

٤ - قِراءَةُ كِتابِ السَّنَةِ.

٥ - قِراءَةُ كِتابِ السَّلَفِ.

٦ - حُضُورُ أو سِماعُ دُرُوسِ العُلَماءِ.

٧ - زِيارَةُ الأَقاربِ والجيرانِ.



(١) أبواب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة، رقم (٢٤١٧)، من حديث أبي بَرزَةَ الأسلميِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بَرْنَامَجُ يَوْمِي مُقْتَرَحُ

أعمالُ المُسلمِ جليلة، ومع تنظيمِها يكون نفعُها أكبر، وهذا برنامجُ يوميِّ مُقْتَرَحٍ لكلِّ مُسلمٍ:

١ - تُصَلِّي الفَجْرَ في المسجد مع جماعة المسلمين؛ قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ؛ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ» رواه مسلم^(١).

٢ - تَمَكُّثُ في المسجد، وبعد قراءةِ أذكارِ الصُّبْحِ تَقْرَأُ القرآنَ الكريم، وإذا كُنْتَ حافظاً له؛ تُرَاجِعُ ما حفظته، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ تُصَلِّي رَكْعَتِي الضُّحَى.

٣ - تَذَهَبُ إِلَى عَمَلِكَ، وبعد العودِة من العَمَلِ تَأْخُذُ قِسْطاً من الرَّاحَةِ.

٤ - بعد صلاة العصر تقرأ أذكار المساء.

٥ - بعد صلاة المغرب تَمَكُّثُ في المسجد إلى صلاة العشاء، وتَصْنَعُ بعد المغرب مثل ما صَنَعْتَ بعد الفجر مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ وَكُتُبِ السَّلَفِ.

٦ - يَتَخَلَّلُ الأوقاتِ السَّابِقَةَ حُضُورَ دُرُوسِ العُلَمَاءِ، أو الاستماع لها.

(١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصُّبْحِ في جماعة، رقم (٦٥٧)، من حديث جُنْدُبِ بن عبد الله رضي الله عنه.

٧ - بعد صلاة العشاء تنام مبكراً، والنبي ﷺ كان يكره النوم قبلها والحديث بعدها، قال أبو بَرزَةَ (رضي الله عنه) (١): «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا» متفق عليه (٢).

٨ - تقرأ أذكار النوم، ثم تنام على طهارة على جنبك الأيمن.

٩ - قبل صلاة الفجر بساعة تستيقظ من النوم، وتفعل الآتي:

أ - تذكر الله عند استيقاظك؛ لتتحلّ عنك عُقْدَةٌ من عُقَدِ الشَّيْطَانِ؛ قال ﷺ: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ؛ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ» متفق عليه (٣).

ب - إذا استيقظت من نومك تقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ»، و«الحمد لله، وسبحان لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

(١) هو: نضلة بن عبيد الأسلمي، أبو بَرزَةَ، مشهور بكنيته، توفي سنة (٦٤هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٣٤١).

(٢) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلوة، باب وقت العصر، رقم (٥٤٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلوة، باب استحباب التكبير بالصبح في أول وقتها، رقم (٦٤٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب التهجيد، باب عقدة الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، رقم (١١٤٢)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم (٧٧٦)، من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

قال ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ^(١) مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى؛ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» رواه البخاري^(٢).

ج - تُصَلِّي مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَتَدْعُو اللَّهَ وَتَسْتَغْفِرُهُ إِلَى أَذَانِ الْفَجْرِ.

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنَ السُّعْدَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَمْنَحَكَ التَّوْفِيقَ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا حَيْثَمَا حَلَلْتَ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا جَمِيعًا فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) أي: اسْتَيْقَظَ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٢٠٤).

(٢) كتاب التَّهَجُّدِ، باب فَضْلِ مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، رَقْم (١١٥٤)، مِنْ حَدِيثِ عِبَادَةِ بِنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

- ٥ المَقْدَمَةُ
- ٧ السَّعَادَةُ
- ٨ حَقِيقَةُ السَّعَادَةِ
- ٩ أَيْنَ أَجِدُ السَّعَادَةَ؟
- ١٠ طَرِيقُ السَّعَادَةِ
- ١٢ المَخْرُومُ مِنَ السَّعَادَةِ
- ١٣ كَيْفَ أَعْرِفُ أَنِّي سَعِيدٌ؟
- ١٥ خُطُوبَاتٌ إِلَى السَّعَادَةِ
- ١٧ الإِخْلَاصُ
- ١٨ مَا الإِخْلَاصُ؟
- ١٩ الإِخْلَاصُ لِلَّهِ طَرِيقُ السَّعَادَةِ
- ٢٣ مَا الْأَعْمَالُ الَّتِي أُخْلِصُ فِيهَا لِلَّهِ؟
- ٢٤ بَرَكَتَةُ الْعَمَلِ فِي الإِخْلَاصِ
- ٢٦ بِالنِّيَّةِ الصَّادِقَةِ تَنَالُ ثَوَابَ الْعَمَلِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْ
- ٢٩ ثَمَرَاتُ الإِخْلَاصِ
- ٣٢ كَيْفَ أَكُونُ مُخْلِصًا لِلَّهِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِي؟
- ٣٨ هَلِ الرِّيَاءُ يَدْخُلُ عَلَى الصَّالِحِينَ؟

- ٤٠ لَيْسَ هَذَا مِنَ الرِّيَاءِ
- ٤١ عِقَابُ المُرَائِي
- ٤٣ طَلَبُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ
- ٤٥ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
- ٤٦ مَنزِلَةُ التَّوَكُّلِ
- ٤٧ فِعْلُ الأَسْبَابِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ
- ٤٩ التَّوَكُّلُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
- ٥١ ثَمَرَاتُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ
- ٥٣ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ
- ٥٧ الدُّعَاءُ
- ٥٨ أَهْمِيَّةُ الدُّعَاءِ
- ٦١ جَوَامِعُ الدُّعَاءِ
- ٦٣ الصَّدَقَةُ
- ٦٤ فَضْلُ الصَّدَقَةِ
- ٦٦ ثَمَرَاتُ الصَّدَقَةِ
- ٦٩ لَا تَتَصَدَّقْ عَلَى الفَقِيرِ لِيَدْعُو لَكَ
- ٧١ طَاعَاتٌ مُنَوَّعَةٌ
- ٧٢ لَا تَحْتَقِرْ أَيَّ عَمَلٍ
- ٧٤ الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ الآخِرَةُ

- ٧٥ الإِكْتَارُ مِنَ الطَّاعَاتِ
- ٧٧ مَا الْعِبَادَاتُ الَّتِي أَكْثَرُ مِنْهَا؟
- ٨٣ شُكْرُ اللَّهِ**
- ٨٤ أَهْمِيَّةُ الشُّكْرِ
- ٨٧ كَيْفَ أَشْكُرُ نِعَمَ اللَّهِ؟
- ٨٩ ذِكْرُ اللَّهِ**
- ٩٠ أَهْمِيَّةُ الذِّكْرِ
- ٩١ أَفْضَلُ الذِّكْرِ
- ٩٣ الإِسْتِغْفَارُ
- ٩٥ إِصْلَاحُ الْقَلْبِ**
- ٩٦ اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي
- ٩٩ البُعْدُ عَنِ الْفِتَنِ
- ١٠٢ تَذَكُّرُ الْمَوْتِ وَزِيَارَةُ الْمَقَابِرِ
- ١٠٣ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ**
- ١٠٤ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ
- ١٠٦ أَمَلٌ وَالِدَيْكَ
- ١٠٧ صِلَةُ الْأَرْحَامِ
- ١١٠ كَيْفَ أَصِلُ رَحِمِي؟
- ١١١ أَقَارِبِي يُسِيئُونَ إِلَيَّ

الرَّوَّاجُ ١١٣

١١٤ مَنَافِعُ الرَّوَّاجِ

١١٥ صِفَاتُ الرَّوَّاجَةِ

١١٦ تَرْوِيحُ الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ

الْأَخْلَاقُ ١١٧

١١٨ سُمُومُ الْأَخْلَاقِ

١١٩ هَلْ حُسْنُ الْخُلُقِ عِبَادَةٌ؟

١٢٢ التَّحَلِّيُّ بِالصِّدْقِ

١٢٤ الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ

١٢٥ الرُّسُلُ وَخِدْمَةُ النَّاسِ

١٢٨ قَضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ

١٣١ التَّوَاضُّعُ

١٣٤ قُبْحُ الْكَذِبِ

١٣٦ الْإِبْتِعَادُ عَنِ الْحَسَدِ

١٣٩ الْحَذَرُ مِنَ الْغَيْبَةِ

الْجَلِيسُ الصَّالِحُ ١٤١

١٤٢ مَنَافِعُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ

١٤٤ الْأَخُوَّةُ فِي اللَّهِ

١٤٦ جَلِيسُ الشُّوْءِ

١٥٠ الْمُجْتَمَعُ لَا يَدْفَعُنِي لِفِعْلِ الطَّاعَاتِ

١٥٣ **الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ**

١٥٤ فَضْلُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

١٥٦ أَحَبُّ الدَّعْوَةِ وَلَكِنِّي لَسْتُ بَلِيغًا، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟

١٥٧ النَّصِيحَةُ

١٦١ **الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**

١٦٢ أَهْمِيَّةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

١٦٣ مَكَانَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

١٦٥ الْحِكْمَةُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

١٦٧ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْذِي؛ فَمَاذَا يَفْعَلُ؟

١٦٨ أَضْرَارُ تَرْكِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ

١٦٩ هَلْ أَنْكَرُ الْمُنْكَرَ وَأَنَا أَفْعَلُ الْمَعْصِيَةَ؟

١٧٠ كَيْفَ أَنْكَرُ الْمُنْكَرَ؟

١٧٢ مَاذَا أَصْنَعُ مَعَ أَهْلِ الْمَعَاصِي؟

١٧٣ لَا تَيَأَسْ مِنْ نُصْحِ صَاحِبِ الْمُنْكَرِ

١٧٤ الصَّبْرُ عَلَى الْمُسْتَهْزِئِينَ

١٧٦ لَا تَضْعَفْ

١٧٩ **الصَّبْرُ**

١٨٠ الْأَنْبِيَاءُ وَالْإِبْتِلَاءُ

١٨١ الصَّبْرُ عَلَى المَصَائِبِ

١٨٣ كَيْفَ تَهُونُ عَلَيَّ المُصِيبَةُ؟

١٨٥ **طَلَبُ العِلْمِ**

١٨٦ المَحَافَظَةُ عَلَى الوَقْتِ

١٨٧ فَضْلُ العِلْمِ

١٨٩ فَوَائِدُ العِلْمِ

١٩٠ تِلَاوَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

١٩١ حِفْظُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

١٩٣ حِفْظُ المُتُونِ العِلْمِيَّةِ

١٩٥ حُضُورُ دُرُوسِ العُلَمَاءِ

١٩٦ قِرَاءَةُ الكُتُبِ

١٩٧ مَاذَا أَقْرَأُ مِنَ الكُتُبِ؟

١٩٩ عَدَمُ اسْتِعْجَالِ قَطْفِ الثَّمَرَةِ

٢٠١ اِحْتِرَامُ العُلَمَاءِ

٢٠٥ اِحْتِرَامُ الأَقْرَانِ

٢٠٧ عَثْرَاتُ طَلَبِ العِلْمِ

٢٠٨ هَلْ فِي طَلَبِ العِلْمِ مَشَقَّةٌ؟

٢١١ العُرْبَةُ فِي طَلَبِ العِلْمِ

٢١٣ مَشَقَّةُ العُرْبَةِ

- ٢١٧ الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ
- ٢١٩ التَّوْفِيقُ بَيْنَ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ
- ٢٢١ **بِرَنَامِجٍ مُقْتَرَحٍ**
- ٢٢٢ عَمَلُ الْمُسْلِمِ الْيَوْمِيِّ
- ٢٢٣ **بِرَنَامِجِ يَوْمِيٍّ مُقْتَرَحٍ**
- ٢٢٧ **فَهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ**



دار الدليقان للنشر والتوزيع

مؤسسة طالب العلم للنشر والتوزيع

+٩٦٦ ٥٠ ٦٠ ٩٠ ٤٤٨



ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٣-٩٩٧٨-٩